جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

شبهات ومواقف المستشرقين من الدولة الأموية

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

د. مشوح بن فرحان راكان العنزي

قسم الدراسات الإسلامية-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الحدود الشمالية- المملكة العربية السعودية

د. هنوف عبدالله العنزي

قسم الثقافة الإسلامية-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الحدود الشمالية /عرعر-المملكة العربية السعودية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

شبهات ومواقف المستشرقين من الدولة الأموية (دراسة تحليلية نقدية)

مشوح بن فرحان راكان العنزي
قسم الدراسات الإسلامية-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الحدود الشمالية- المملكة العربية السعودية
الإيميل الجامعي : Mshawah.Al-Enzi@nbu.edu.sa

هنوف عبدالله العنزي
قسم الثقافة الإسلامية -كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الحدود الشمالية /عرعر-المملكة العربية السعودية
الإيميل الجامعي: *Hanouf.Alanazi@nbu.edu.*sa

الملخص

إنه مما لا شك فيه أن الاستشراق أصبح اليوم حقيقة واقعة وقد شمل الاستشراق كثيرًا من جوانب حضارتنا وفكرنا وثقافتنا، وتزخر مكتباتنا العربية والإسلامية بالعديد من أبحاث المستشرقين في سائر فروع المعرفة، وبلغات أجنبية عديدة، ومعظمها مترجم إلى اللغة العربية، التي يرجع إليها الباحثون في دراستهم ونتاجهم العلمي، ولا يزال الرأي في الاستشراق موضع بحث وجدل ونقاش ولم يصدر المفكرون حكما نهائيا على نوايا المستشرقين، ولم يقيموا جهودهم وأبحاثهم تقييما محددا، ومن هنا فإننا إذا أردنا أن نسلط الضوء على الدوافع التي حدت بهم للقيام بأبحاثهم ودراساتهم والمؤثرات المنهجية التي أثرت في هذه الأبحاث، فإن ذلك سيؤدي بنا حتميًا إلى فهم ومعرفة كثير من طبيعة الاستشراق، واتجاهاته ومراميه، ومن ثم موضوعيته وإنصافه، أو تشخصه وإجحافه، في مقدماته ونتائجه.

الكلمات المفتاحية: شبهات– مواقف – المستشرقين – الدولة الأموية – دراسة – تحليلية نقدية

Suspicions and attitudes Orientalists on the Umayyad State (Critical Analysis)

Mashouh bin Farhan Rakan Al-Anzi
Department of Islamic Studies, College of Humanities and Social Sciences-College of Humanities and Social Sciences - Northern Borders University - Kingdom of Saudi Arabia
E-Mail : Mshawah.Al-Enzi@nbu.edu.sa

Hanouf Abdullah Al-Enezi
Department of Islamic Culture - College of Humanities and Social Sciences-University of Northern Borders / Arar - Kingdom of Saudi Arabia
University E-Mail :Hanouf.Alanazi@nbu.edu.sa

Abstract

There is no doubt that Orientalism has become a reality today. Orientalism has covered many aspects of our civilization, thought and culture, and our Arab and Islamic libraries are filled with many Orientalist researches in all branches of knowledge and in many foreign languages, most of which are translated into Arabic, to which researchers refer in their studies and scientific output, and the opinion on Orientalism is still a subject of research, controversy and debate, and intellectuals have not issued a final judgment on the intentions of the Orientalists, nor have they evaluated their efforts and researches in a specific manner. If we want to shed light on the motives that led them to carry out their research and studies and the methodological influences that affected these researches, this will inevitably lead us to understand and know much of the nature of Orientalism, its trends and objectives, and then its objectivity and fairness, or its personalization and prejudice, in its introductions and results .

Keywords: Orientalism - Orientalists - The Umayyad State - Critical Analysis.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

لقد اهتم العلماء والباحثون منذ زمن بعيد وحتى العصر الحاضر من مختلف الأجناس بالإسلام ورسوله وأهله وَدُوَلِهِ، ومن أهم المراحل الإسلامية التاريخية التي تناولوها بالبحث والدراسة هي المرحلة الثانية من دولة الإسلام، وهي: "دولة بني أُمية"، ولقد حظيت الدولة الإسلامية في عهد خلفاء بني أمية باهتمام الباحثين والمؤرخين، منذ بداية التدوين في كتب التاريخ وحتى الآن، ولقد تنوعت كتابات هؤلاء حول تلك الدولة ما بين منصف أو مجحف.

ومن أهم الكتابات والدراسات حول الدولة الأموية هي ما كتبه المستشرقون حولها، ولم يكن هؤلاء المستشرقون على درجة واحدة من الموضوعية أو الإنصاف في دراستهم، فمنهم من أنصف هذه الدولة في معظم ما بحث ودون، ومنهم من دفعته أغراض أخرى إلى الإساءة منهم افتراء وكذبا.

وأما النوع الثاني من المستشرقين فهو الغالب في دراسة الدولة الأموية – لا في مجال الاستشراق عموما – وعلى كل فقد أفادتنا هذه الدراسات إفادة كبيرة من حيث لا تدري، وهي أن بعض هؤلاء المستشرقين وبخاصة المنصفين منهم ينظرون إلى القضية نظرة موضوعية دون أي تأثيرات دينية أو حزبية أو غيرهما داخلية أو خارجية، لذا: جاءت آراؤهم علمية خالصة.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة في عدة نقاط على رأسها:

أ- حساسية هذه الفترة التي عايشها بني أمية من تاريخ الإسلام والعرب، حيث إن أكثر الوقائع الدامية في تاريخ الإسلام وقعت في زمان هذه الدولة، كمقتل الحسين، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وإخماد الثورات التي قامت في وجهها، مما كان له أكبر الأثر في تناول المستشرقين لها.

ب- الأهمية الكبرى للدولة الأموية؛ حيث إنها هي وارثة عرش الخلافة الراشدة في الحكم، وكانت من أهم المقومات والدعائم لنشر الإسلام في معظم بلاد العالم، وعلى يديها قويت شوكة الإسلام والمسلمين.

ج- إن كثيرا من المستشرقين قد عمد إلى تزييف الواقع أو تشويهه لغرض من الأغراض الذاتية كالتعصب للدين أو الجنس.

د- حققت الدولة الأموية إنجازات ضخمة في شتى النواحي وبخاصة: الدينية والسياسية والاقتصادية، ولكن هناك من يبخسها حقها من هذه الناحية.

أهداف الدراسة

أ) الوقوف على موضوعية البحث في تاريخ الدولة الأموية من عدمه، فقد دونت الكتب التي تناولت التاريخ الأموي في عهد الدولة العباسية المعادية لها، مما كان له أكبر الأثر في تزييف أو تحريف كثير من الوقائع التاريخية في عهد تلك الدولة.

ب) الاطلاع على الجهود المبذولة من المستشرقين وإسهاماتهم حيال التاريخ الإسلامي، وبخاصة في تلك الفترة المهمة منه، وهل أثمرت هذه الجهود نفعا أو لا.

ج) – معرفة حقيقة هؤلاء المستشرقين وهل اتسمت كتاباتهم بالموضوعية العلمية، أو التعصب الأعمى للدين أو الجنس.

د) الاطلاع على الروايات التاريخية من حِقبة بني أمية –قدر الإمكان– وبيان مدى المصداقية فيها.

منهج الدراسة

اعتمدت –بأمر الله– في هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، باعتباره المنهج الرئيس المرتبط بالعنوان، والذي يرصد شبهات وكتابات وأقوال المستشرقين عن الدولة الأموية، وبيان مدى توافقها مع الروايات التاريخية الصحيحة من عدمه، وهذا لا يعني عدم اصطحاب بعض المناهج الأخرى، لذلك تقوم الدراسة على عدة مناهج أخرى من شأنها خدمة الفكرة وترسيخ مفهومها، وهذه المناهج كالتالي:

أولاً: – المنهج الاستقرائي(١).

ثانيا:– المنهج التاريخي (الاسترادي) (٢).

ثالثا: – منهج التحليل والتركيب(٣).

---

(١) وهو: "مجموعة الأساليب والوسائل والطرق العملية والعقلية التي يستخدمها الباحث في الانتقال من عدد محدود من الحالات الخاصة، إلى قانون أو قضية عامة، يمكن التحقق من صدقها بتطبيقها على عدد لا حصر له من الحالات الخاصة الأخرى، التي تشترك مع الأولى في خواصها أو صفاتها النوعية"، أو هو: "تتبع الحالات الجزئية للوصول منها إلى فكرة عامة"، واستخدمته في هذه الدراسة للوقوف على أهم الجزئيات التي يُمكن من خلالها تكوين فكرة حقيقية، ويتم من خلالها التحقق من صدق الرؤى المزعومة والحقيقية، وهل يوجد بينهما تطابق أم اختلاف؟.، يُنظر: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، د/ عبدالفتاح محمد العيسوي، ود/ عبدالرحمن محمد العيسوي صـ٩٠ ط سلسلة دراسات التراث الإسلامي والعربي، دار الراتب الجامعية، سوفنير سـ١٩٩٧م، مناهج البحث العلمي نظريًا وتطبيقيًا د/ محمد جلاء إدريس صـ١٠٥ ط الرابعة د ن سـ٢٠٠١م.

(٢) وهو: "منهج يبحث تقرير صحة البيانات المتوفرة لحادثة، أو عملية، أو ظاهرة إنسانية، أو طبيعية تمت في الماضي، بواسطة القراءة والتأمل، وقد سمي بذلك لا لكونه متخصصًا أو مقتصرًا على مشاكل التاريخ؛ بل لأن المشكلات التي يدرسها قد حدثت في الماضي، ويهدف إلى مراجعة وتصحيح الحقائق حول حوادث وظواهر الماضي، للإفادة منها في توجيه الحاضر والمستقبل"، واعتمدته في هذه الدراسة، من أجل رصد فكرة البحث من حيث النشأة، والتاريخ، والتطور...إلخ. البحث العلمي: أسسه، مناهجه، أساليبه، إجراءاته د/ ربحي مصطفى عليان صـ٤١ ط بيت الأفكار الدولية بيروت الأردن د ت.

(٣) وهو: "عملية عقلية ذهنية في أساسها، ويتمثل في عزل صفات الشيء أو خواصه أو أجزائه بعضها عن بعض (في الذهن) بقصد معرفتها، وإدراك العلاقة بينها وبين غيرها، أي محاولة الكشف عن القانون العام الذي تخضع له، أما التركيب فهو: عملية عقلية كذلك، يستعين بها الباحث على

=

رابعا:– المنهج النقدي[1].

إجراءات الدراسة:

لابد لأي دراسة علمية من مجموعة من الضوابط المنهجية تعكس المصداقية والأمانة العلمية، أهمها:

أ-جمع النصوص الدينية ذات العلاقة بالفكرة محل الدراسة.

ب- تحليل النصوص تمهيدا لنقدها أو التأكيد عليها.

ج- مراجعة الدراسات التاريخية بموضوعية وحيادية.

د- تحليل ونقد ومقارنة الروايات بمنهج عقلي ومنطقي مُجرَّد.

ه-الالتزام بالمنهج العلمي والتحليل الموضوعي.

و-الاعتماد على مصادر موثوقة ودقيقة.

ز-الحذر من الإسقاطات العقائدية أو التحيز.

ح-التفريق بين الرواية والنص والتأويل والتاريخ والأثار.

وقد راعيت ضمن إجراءات الدراسة الأمور التالية:

أولاً: عزوت الآيات القرآنية إلى السور التي وردت فيها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، مُبينا سواء كانت كاملة أو جزءا منها، مع وذكر أقوال بعض أئمة التفسير، كما

التأكد من صحة النتائج التي توصل إليها، عن طريق العملية التحليلية السابقة. فبعد تحليل الظاهرة أو الشيء إلى عناصره الأولية، ومعرفة العلاقات التي تحكم هذه العناصر، كان من الضروري إعادة التركيب للتأكد من دقة التحليل"، وقد اعتمدته في هذه الدراسة؛ لأنها تحتاج إلى تمييز عناصرها الأساسية، وأيضًا لما تدعو الحاجة إليه من الانتقال من فكرة كلية غامضة قامت عليها فكرة الدراسة، – مناهج البحث العلمي نظريًا وتطبيقيًا د/ محمد جلاء إدريس صـ١٣٥ – ١٣٦ (م. س).

(١) وهو: "الأسلوب الذي يتبعه الباحث في تحليل النصوص، أو الظواهر، أو الأفكار، بقصد الكشف عن مواطن القوة والضعف، والتمييز بين الغث والسمين، معتمداً على معايير عقلية وعلمية، وباستخدام أدوات تحليلية دقيقة"، وقد اعتمدته هنا بهدف النقد العلمي والعقلي للفكرة محل الدراسة، مع التنبيه على أن قراءات النص الواحد تختلف باختلاف القراء والنقاد، وباختلاف المناهج النقدية المتبعة في تحليل ونقد العمل، حتى تقف على حقيقة موثَّقة ومجرَّدة عن الهوى.
مناهج البحث العلمي د/ عبدالرحمن بدوي صـ١١٢ ط الرابعة دار النهضة العربية سـ١٩٩٧م.

قمت بتخريج كل حديث نبوي بين ثنايا البحث تخريجا علميا، والاكتفاء بذكره في الصحيحين وإلا حكمت عليه من كتب الرجال.

ثانيا: حرصت على جمع المعلومات من مصادرها ومراجعها الأصيلة مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وجمعت بين القديم والحديث، مع الاستفادة من المراجع العصرية.

ثالثا: اعتمدت في هذه البحث على مراجع ذات صلة وثيقة بالدراسة؛ لزيادة التوضيح والبيان، وإقامة الدليل والحجة.

رابعًا: التزمت الأمانة العلمية، فنسبت كل قول إلى قائله، وإن كان بتصرف أشرت إلى ذلك، مع كتابة اسم الكتاب ثم المؤلِّف ثم المحقق إن وجد ورقم الجزء إن وجد والصفحة وتاريخ ومكان الطبع إن وجد، وهذا عند ذكر المرجع لأول مرة، واستغنيت باسم الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة بعد ذلك حينما يتكرر الرجوع إلى نفس المرجع مع الإشارة إلى أنه مرجع سابق، باستثناء المرات القليلة، من باب التذكرة.

خامسا: ترجمت لبعض الكلمات الغريبة التي وردت بين ثنايا البحث، وذلك لرفع اللبس والإشكال، كما ترجمت للأعلام غير المشهورين، وذلك بالرجوع إلى كتب الطبقات والتراجم والأعلام، كما قمت ببيان الكلمات الغريبة من مصادرها الأصيلة.

سادسا: قمت بترتيب المصادر والمراجع في نهاية البحث ترتيباً أبجدياً، بادئاً باسم المُؤلَّف ثم المؤلِّف، مع الإشارة إلى رقم الطبعة وتاريخها ومكان الطبع إن وجد.

سابعا: استخدمت في هذا العمل الأكاديمي عدة رموز ومصطلحات بيانها كالتالي:

- حرف صـ ويقصد به: رقم الصفحة.
- حرف ط يقصد به: مكان الطّباعة أو رقمها.
- حرف مـ يقصد به: بيان التاريخ الميلادي للطباعة.
- حرف بـ يقصد به: الباب.

- حرف ف يقصد به: الفصل.
- حرف هـ . يقصد به: بيان التاريخ الهجري للطباعة.
- حرفا د – ت يقصد بهما: دون تاريخ للنشر.
- حرفا د. ط يقصد بهما: دون تحديد لمكان الطباعة.
- حروف د– ط – ت ويقصد بها: دون تحديد لمكان الطباعة ولا تاريخ للنشر.
- حرفا (م. س) يُقصد بهما مرجع سابق.
- كلمة..إلخ يقصد بها: إلى آخره.
- حرف ت بجوار رقم (ت..) يقصد به: تاريخ الوفاة.
- "..." علامة التنصيص هذه يوضع بينها النّصّ المنقول بعينه، وقد يكون هناك تصرف يسير في ذلك النص المنقول بالحذف أو الزيادة اليسيرة، وأعبّر عن ذلك في الهامش بكلمة "بتصرف"، أو "بتصرف يسير".
- كلمة يُنظر: أقوم بكتابتها قبل اسم المصدر أو المرجع في الهامش، ذلك عند عدم الوقوف على نصٍ بعينه منه، بل بمجرد الاستفادة منه أو من غيره من المصادر أو المراجع التي وقفت عليها في تناول الفكرة منها.

تقسيمات الدراسة:

يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت فيها: أهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، وإجراءاتها، وتقسيماتها، وجاءت تقسيمات الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: المؤثرات المنهجية للمستشرقين حول تاريخ الدولة الأموية

المطلب الأول: التعصب الديني والجنسي
المطلب الثاني: الطبيعة الغربية للاستشراق وارتباطه به

المبحث الثاني شبهات المستشرقين حول الدولة الأموية والرد عليها

المطلب الأول: الشبهة الأولى والرد عليها

المطلب الثاني: الشبهة الثانية والرد عليها
المطلب الثالث: الشبهة الثالثة والرد عليها
المطلب الرابع: الشبهة الرابعة والرد عليها

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من قيام الدولة الأموية

المطلب الأول: موقف المستشرقين من خلافة علي وحربه لمعاوية –رضي الله عنهما-
المطلب الثاني: موقف المستشرقين من تولي الأمويين للخلافة
المطلب الثالث: موقف المستشرقين من دين الخلفاء والولاة في الدولة الأموية

المبحث الرابع: الرؤى الاستشراقية حول الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية

المطلب الأول: الرؤى الاستشراقية حول الغزو والجهاد في عهد الدولة الأموية
المطلب الثاني: الرؤى الاستشراقية لموقف الدولة الأموية من أهل البلاد المفتوحة
المطلب الثالث: الرؤى الاستشراقية للدولة الأموية حول علاقتهم بالموالي وجمع الجزية والخراج.
الخاتمة: وتشتمل على
أولا: أهم نتائج الدراسة
ثانيا: أهم توصيات الدراسة
ثم ثبت المصادر والمراجع، ففهرست الموضوعات.

المبحث الأول: المؤثرات المنهجية للمستشرقين حول تاريخ الدولة الأموية

المطلب الأول: التعصب الديني والجنسي.

لا شك أن الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، انطلقوا من أهداف وأغراض معينة تتنوع وتتفاضل فيما بينها قوة وعمقا، أو ضعفًا ونقصا، ومن أهم هذه الدراسات هي دراسات المستشرقين(١) الغربيين حول الإسلام وتاريخه، وقد اتسمت هذه الدراسات بنفس السمات من القوة أو الضعف والعمق أو السطحية، ومع ذلك لا تخلو في بعضها من الغرض والتشهي، «فليس هناك من جهود أكاديمية في عالم الدراسات الإنسانية تكاد تكون أسوأ حظا في مواردها وسوابقها من الدراسات الإسلامية والعربية في الغرب.

فمنذ البداية تبدو جذور العداوة اليهودية المسيحية للإسلام في آيات القرآن، قال تعالى:﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، فما كان أسرع أهل الكتاب لتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، بل لتحديه في مهمته كحامل للرسالة الإلهية، ومن هنا بدأت سلسلة المجادلات التي استمرت، وإن تباينت الرايات المرفوعة في معارك الجدل حتى أيامنا» (٢).

---

(١) الاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتاريخهم وأديانهم ، ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم وأرضهم وحضارتهم ، وكل ما يتعلق بهم، وهدفهم الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التنصير من جهة، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام، وتحطيم الأمة الإسلامية.
والمستشرقون هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمنصرين، بغية تحقيق أهداف التنصير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار. ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستعمار – الاستشراق د/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني صـ٥٣ – ٥٤ ط دار القلم – دمشق ط٨ سـ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) المستشرقون الناطقون بالانجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية بقلم: أ. ل. طيباوي نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣م مجلة THEMUSLIM WORLD وترجمها فتحي عثمان والمقال ملحق بكتاب "الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي د.محمد البهي ص٤٧٣، ط/مكتبة وهبه . القاهرة.

ولقد نتج هذا التعصب عن سيطرة الكنيسة على العصور الوسطي المسيحية، وشعور أوربا بالخطر من الإسلام، ومن هذه اللحظة بدأت معاداة الكنيسة للإسلام، وما تبعه من حركات استشراقية لدراسة الإسلام من جميع نواحيه، ومع سيطرة الكنيسة يمكن أن ندرك مدى الكراهية التي بثتها في نفوس أتباعها، وما نال الإسلام من هجوم وقدح، وإذا ما أضفنا إلى هذا التعصب الجهل بمعظم الأمور السائدة في هذا العصر، أمكننا أن نتخيل الحقد والجهل بالإسلام ورسوله طيلة سنين وقرون عديدة، وذلك عن طريق بث المعلومات المشوهة أو الزائفة عنهما، وهكذا كان الإسلام بالنسبة لهم من عمل الشيطان" وكان القرآن نسيجا من السخافات وكان "محمد دعيا "كذابا" و"محتالا" و "عدوا للمسيح"!! أما المسلمون فهم ليسوا سوى نوع من المتوحشين لا يكاد يحظى بميزة إنسانية!!

وما ذلك إلا لأنهم يميزون الجنس البشري بمقياس التعصب الجنسي والديني والطبقي، فيح أن الإسلام الذي ينظرون إليه من بُعد لا يُقر هذا أبدا، بل يجعل هذا وسيلة للتعارف والتقارب، ويجعل الأفضلية الحقيقية قائمة على أساس من ميزان التقوى والعمل الصالح، قال –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات:١٣]، ومن العسير أن نحدد إلى أي مدى أثرت هذه الدعاية في أوروبا الغربية حتى استجابت لنداء الحروب الصليبية، ولم تخف سطوة التعصب والجهل إلا في القرون الأخيرة، عندما أتيح للمستشرقين أجواء أخرى، ومؤلفات في مقارنات الأديان وغيرها، وإن بقي بعض من هذه التبعات لنظرة هؤلاء إلى الإسلام قائمة حتى اليوم [(١)]، لكن مع المدنية المعاصرة تبدو هذه النظرة أن تحذو حذوا آخر.

(١) للمزيد ينظر: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية" بقلم: أ. ل. طيباوي صـ٤٧٥ ترجمة د/ فتحي عثمان، دراسة للأستاذ طيباوي، نشرت في عدد يوليو سـ١٩٦٣م الناشر مجلة THEMUSLIM WORLD ط مكتبة وهبة بالقاهرة (م. س).

المطلب الثاني: الطبيعة الغربية للاستشراق وارتباطه بها

إنه مما لا شك فيه الآن أن الاستشراق نشاط غربي، ظهر في بيئة غريبة عن الإسلام، لها رؤيتها الحضارية الخاصة بها، فهم ينظرون إلى الدين نظرة خاصة فيراه بعضهم صناعة بشرية لا دخل للسماء فيها، ويراه بعضهم قيمة روحية محدودة الأثر فيما بين الإنسان وربه، لا دخل لها بالسياسة والحكم، والاقتصاد والإدارة، فللغرب نظرته إلى الإنسان ونشأته، وتأثير الدين فيه، ومكانة القيم الأخلاقية عنده، وقد أرزت هذه الرؤى الغربية نظريات فلسفية خاصة كانت لها نظرتها إلى الدين والإنسان والتاريخ، ومن أبرز الفلسفات التي تركت أثرا على تناول المستشرقين وبعض تلامذتهم التاريخ الأموي، فلسفة التفسير المادي للتاريخ، وقد ترك ذلك أثره على تأريخ المستشرقين لعصر بني أمية، ومرحلة الصراع بين المسلمين التي سبقت قيامه، وتاريخ بعض رجاله والفتوحات الإسلامية فيه، ومكانة الدين عند الأمويين، والمجتمع الإسلامي في عهدهم، على نحو ما سنرى في تناول المستشرقين للعصر الأموي.(١)

كما أن ارتباط الاستشراق بالاستعمار الغربي واضح، حيث إن حماية الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية يحكمها عمل المستشرقين، وتصوراتهم للإسلام وشرحهم لمبادئه، وبعثهم لخلافات المسلمين الماضية، وخلقهم خلافات أخرى لا يلتفت إليها المسلم، بعد ما صهر الإسلام علاقته بأخيه المسلم ، وكون منها وحدة عديدة الحلقات والروابط، وينطوي عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين:

– النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربي والرضاء بولايته.

(١) للمزيد ينظر: الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات د حمدي ،شاهين صـ٨٨ –٨٩ ط دار القاهرة للكتاب ط بـ ت.

– النزعة الثانية: الروح الصليبية في دراسة الإسلام، تلك النزعة التي لبست ثوب البحث العلمي، وطلاها خدمة الغاية الإنسانية المشتركة.

أما مظهر النزعة الأول فيتبرز من خلال:

أولا: إضعاف القيم الإسلامية: وذلك عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف في المسلم تمسكه بالإسلام، ويقوي في نفسه الشك فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الحياة القائمة، فهذا رينان(١)، الفرنسي يصور عقيدة التوحيد في الإسلام بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك، على حين أن عقيدة التوحيد مزية الإسلام، وآية على أنه الرسالة الكاملة الواضحة لخالق الكون، كما أنها الطريق السليم والوحيد إلى رفع شأن الإنسان وتكريمه؛ لأن صاحب هذه العقيدة لا يخضع في حياته لغير الله ، ولا يتوجه في طلب العون إلى غير الله.

ثانيا: تمجيد القيم الغربية المسيحية (٢)

أما النزعة الثانية ففي دراسة الغربيين للإسلام والثقافة الإسلامية، وهي تأكيد الروح الصليبية فتتضح أيما وضوح في كتابة المستشرقين الفرنسيين فكتاباتهم لا تنبئ فحسب عن ميل الإضعاف المسلمين، بل تنم عن حقد على المسلمين، وعن سخرية وتهكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته الإلهية.

لقد قام أساس الاستشراق على أن الإسلام من صنع محمد فالإسلام دين بشري، وعلى أن الرسول لفق فيه من المسيحية واليهودية، وأنه حرف في نقله تعاليم هاتين الديانتين؛

---

(١) ارنست رينان (١٨٢٣) – (١٨٩٢م) مؤرخ وفيلسوف فرنسي عانى أزمة إيمان أدت به إلى الارتداد عن عقيدته الكاثوليكية، تميزت بحوثه بالنزعة العقلانية وبالإيمان بالعلم، زار لبنان في مهمة آثارية عام ١٨٦٠م، ثم عرج على فلسطين عام ١٨٦٣م ، بحثًا عن مادة أصلية لكتابة الأشهر وحياة يسوع عام ١٨٦٣م. ينظر: "معجم أعلام المورد منير البعلبكي صـ٢١٧ ط دار العلم للملايين – بيروت – ط الأولى سـ١٩٩٢م.

(٢) للمزيد ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د / محمد البهي صـ٤٣ –٤٤ ط مكتبة وهبة بالقاهرة ط العاشرة سـ١٩٨٨٨م.

إما لأنه لم يستطع فهمها كما يذكرون؛ وإما لأن نفسه لم ترتفع إلى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته، ولذلك أنكر محمد على عيسى أنه ابن الإله، وبالتالي أنكر التثليث، وتشبث بالتوحيد وببشرية الرسول. ولقد قام الاستشراق على مثل هذا الأساس، ولكن المستشرقين يختلفون فيما بينهم في تصوير آرائهم، وفي تقرير شروحهم لمبادئ الإسلام(١)، ناهيك عن قصور معرفتهم بأحكام الإسلام، بدءا باللغة العربية والعلوم الشرعية، وانتهاء بأهداف ومقاصد الإسلام، مما كان له الأثر الواضح في هجمتهم الشرسة عليه وعلى رجالاته.

□

(١) السابق نفسه (الفكر الإسلامي لمحمد البهي) صـ٥٤ (م. س).

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول دولة بني أمية والرد عليها

المطلب الأول: الشبهة الأولى والرد عليها

يدعي بعض المستشرقين أن بني أمية كانوا أعلى شانًا وأرفع مكانة، وأشد قوة وبأسا من بين هاشم في الجاهلية، ومن هنا قاد أبو سفيان قريشا المعارضة ضد النبي صلى الله عليه وسلم حتى إسلامه(١)، يقول فلهوزن(٢) «وكان الأمويون شأنهم شأن أسرة النبي صلى الله عليه وسلم من بيت عبد مناف، لكنهم كانوا أشد قوة وأكثر مالا وأعظم نباهة من بني هاشم وبني عبد المطلب، وكانوا منذ موقعة بدر قد احتلوا مكان قبيلة بني مخزوم، بعد أن انكسرت قوتها في معركة بدر، وكانوا أيضًا قد توصلوا إلى السيادة في مكة بفضل زعيمهم الماهر أبي سفيان».

والحقيقة أن كلا من بني هاشم وبني أمية ينتمي إلى عبد مناف الجد الأكبر لهم جميعا، وكانت علاقات المودة والتصاهر والتعاون واضحة بينهم، وكان ذلك هو الأصل، وما حدث بينهم من خلاف هو الفرع(٣)، ولم يكن بنو أمية أعلى شأنا من بني هاشم وعبد المطلب، بدليل أن هاشما كان سيد قريش، ومن بعده ولده عبد المطلب، ومن بعده ولده أبو طالب بلا منازعة من أحد ، حتى كانت النبوة في بني هاشم، هنا انقلب بنو أمية وغيرهم عليهم، حتى لا يستأثروا بالفضل دونهم.

---

(١) للمزيد ينظر: تاريخ الشعوب "الإسلامية كارل بروكلمان، صـ١١٠ ترجمة نبيه أمين ،فارس، ومنير البعلبكي، ط/ دار العلم للملايين ط الخامسة، سـ١٩٦٨م ، وتاريخ التمدن الإسلامي" جرجي زيدان صـ٨٢ ط الأولى مراجعة وتعليق د/ حسين مؤنس ط/ دار الهلال ١٩٦٨م.

(٢) يوليوس فلهوزن ولد في ١٧ مايو سنة ١٨٤٤م بنواحي هانوفر ، وفي سنة ١٨٧٢م صار أستاذا ذا كرسي في جامعة جريفسفلد ، ولكنه سرعان ما انتقل إلى جامعة هله حيث قام بتدريس اللغات الشرقية، ثم انتقل إلى جامعة ماربورج سنة ١٨٨٥ ثم صار أستاذا في جامعة جيتنجن سنة ١٨٩٢م حتى تقاعده في عام ١٩١٣م توفي في ٧ يناير ١٩١٨م في جيتنجن. للمزيد ينظر: "موسوعة المستشرقين" د/ عبد الرحمن بدوي، صـ٤٠٨ ط دار العلم للملايين، ط الثالثة سـ١٩٩٣م.

(٣) للمزيد ينظر: الدولة الأموية المفترى عليها د/ حمدي شاهين، صـ١١٦ (م. س).

المطلب الثاني: الشبهة الثانية والرد عليها

يدعي بعض المستشرقين على بني أمية أنهم من الطلقاء الذين حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم ما وسعتهم المحاربة، ثم أسلموا بعد فتح مكة خوفا من القتل(١)، ومما ساعدهم على ذلك أن بني أمية وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب كانوا من أشد الأعداء لدين الله قبل دخولهم في الإسلام، فقد كان أبو سفيان يقود المشركين لحربهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وأحد والخندق، حتى أسلم وبنوه في فتح مكة.

يقول فلهوزن عن بني أمية: «وهم الذيم ظلوا يتزعمون الحرب التي استمرت بين قريش من جهة، والمدينة ومحمد من جهة، وهم وإن كانوا قد هزموا في هذه الحرب، فإنهم لم يفقدوا مكانتهم وما كان لهم من نفوذ»(٢)، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه ﷺأعطى أبا سفيان عهد الأمان سرًا يوم فتح مكة، وأن الأمويين بعد دخولهم في الإسلام سارعوا بالهجرة إلى المدينة بجوار النبي وشاركوا معه في بقية الغزوات (٣).

ويعود فلهوزن فيلمز بني أمية ويزعم أنهم دخلوا في الإسلام ،ظاهرًا، وأنهم أجبروا عليه حتى لا يفقدوا مكانتهم فيه، بل لكي يكونوا قادته فيما بعد، وقد تحقق لهم ذلك، فهو يقول عن مكانة بني أمية:" بل هم أنقذوها، ودخلوا بها في الجماعة الجديدة، التي اضطروا أن ينضموا إليها... ولما كانت مكة قد فقدت قيمتها السياسية، فإنهم هاجروا إلى المدينة، ولما يلبثوا فيها أن صاروا من دفة تدبير الدولة، ونظرًا لأنهم جروا مع ريح العصر وقبلوا الدين بحسب ما كانت تقتضيه الظروف، فإنهم ارتفعوا عاليًا، بفضل قوة الموجة التي

(١) السابق نفسه (الدولة الأموية المفترى عليها د/ حمدي شاهين) صـ ١١٦ (م. س).
(٢) تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ٣٩ (م. س).
(٣) السابق نفسه (تاريخ الدولة العربية، فلهوزن) صـ٣٩ (م. س).

كانت توشك أن تبتلعهم"[١]ويستدل على ذلك بتولية يزيد ابن معاوية ولاية الشام، ومن بعده معاوية في عهدي أبي بكر وعمر [٢].

وهذه شبهات لا ترقى إلى أي حقيقة؛ فبني أمية لم يضطرهم أحد إلى الإسلام، فمنهم من بقي على شركه لم يؤمن ومعظم المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة ظلوا فيها ، وكذلك من أسلم بعدها، وما ذلك إلا لكي يظلوا بجانب رسول الله ﷺ يتعلمون منه، ويقتدون به، وينطلقون من المدينة إلى المغازي، وبعد وفاة رسول الله ﷺظل بها كثير من الصحابة، ولكن آخرين فضلوا العودة إلى مكة زمان الفتنة مثل ابن عمر، وابن عباس، وغيرهما، ولا يخفى أن كثيرًا من بني أمية لم يستوطن المدينة بعد رسول اللهﷺ بل تركوها وذهبوا إلى الشام بجوار كبيرهم معاوية بن أبي سفيان.

ونلاحظ أن كثيرًا من المؤرخين أنصفوا بني أمية من هذا الاتهام المبطن ، فذكر أن كثيرا منهم كانوا ألد أعداء الإسلام، ولكنهم ما إن أسلموا حتى حسن إسلامهم – مثل غيرهم من المشركين الذين أسلموا – وأظهروا بطولات رائعة، فقد أبلوا بلاء حسنا في حروب الردة والمتنبئين ومانعي الزكاة، كما كانوا سيوفا مشهرة وقوى هائلة في الفتوحات الإسلامية، حتى إن أبا سفيان فقد إحدى عينيه في المغازي مع النبي الله ثم فقد الأخرى في اليرموك، وهو يقاتل حتى زوجة ابنه يزيد، كما كانت هند زوجة أبي سفيان وأم معاوية تشارك في حرب الفتوح، وروي عنها أنها كانت تصيح في النساء قائلة: عضدوا الرجال بسيوفكم[٣]، وبهذا يظهر تفنيد هذه الشبهة.

(١) تاريخ الدولة العلربية فلهوزن صـ٥٩ (م. س).
(٢) السابق نفسه (تاريخ الدولة العربية) صـ ٥٩ ٠م. س).
(٣) للمزيد ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي" الدولة الأموية والحركات الفكرية، د/ أحمد شلبي، صـ٣١ ط مكتبة النهضة المصرية، ط السابعة سـ١٩٨٤م.

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة والرد عليها

لقد تأثر بعض المستشرقين بما كتبه الشيعة عن حكم الشيخين أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما . من أنهما قد اغتصبا الخلافة، وإن لم يصرحوا بأن عليا كان هو الأحق بها، يقول المستشرق فلهوزن: «وكان أبوبكر وعمر يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل عن طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثوبًا شرعيًا إلا فيما بعد، وذلك بأن سارا في الحكم على المبادئ التي تقضي بها الحكومة الثيوقراطية»[(١)] للإسلام.

إن هذين خطآن في نسق، فالشيخان لم يغتصبا الخلافة بل كانت بمشورة من المسلمين، وتاريخ الإسلام يعج بقصة الخلافة، وليس فيها ما يدل على ما ذهب إليه، بل قد ورد عن عمر نفسه أنه قال: «فمن بايع رجلا عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه».[(٢)] كما أنه لم توجد في عهدهما حكومة ثيوقراطية (دينية) وهو ما يعتقده معظم المستشرقين، يقول كارل بروكلمان، عن دولة الخلافة الراشدة زمان عمر رضي الله عنه: «فقد كانت هذه تقوم على أساس ثيوقراطي من حيث المبدأ... ومن هنا انتظمت الإمبراطورية الثيوقراطية – التي نشأت بعد وفاة النبي عن الدولة القومية التي رفع هو قواعدها – طبقتين متميزتين دينيًا وبالتالي سياسيا» [(٣)].

---

(١) تاريخ الدولة العربية فلهوزن، صـ٣٤ (م. س).

(٢) مختصر سيرة "الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب، صـ٢٤٩ ط/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية سـ ١٤١٨هـ ، وهذا الأثر رواه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الزجر عن أن يرغب المرء عن آبائه إذ استعمال ذلك ضرب من الكفر ، برقم: (٤١٣)، (٢/١٤٨).

(٣) بروكلمان مستشرق ألماني، ولد في ١٧ سبتمر ١٨٦٨ في مدينة روستوك أتقن العبرية، ودرس الآرامية والسريانية في المرحلة الثانوية، التحق بجامعة روستوك ربيع ١٨٨٦ م ، درس اللاتينية واليونانية والتاريخ عين مدرسا تحت التمرين سنة ١٨٩٠م في المدرسة البروتستية ، وفي نفس الوقت واصل دارساته العربية، وحصل سنة ١٨٩٣ على دكتوراه التأهيل للتدريس برسالة عنوانها «عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار من أشهر كتبه تاريخ الأدب العربي» و «تاريخ الشعوب العربية والإسلامية توفي في السادس من مايو عام ١٩٥٦م. للمزيد ينظر: موسوعة المستشرقين" صـ٩٨ –٩٩ (م. س)، معجم أعلام المورد صـ١٠٢.

وقد كرر المستشرق فلهوزن هذا التعبير كثيرًا ووصف به حكم الخليفتين وغيرهما في كتابه تاريخ الدولة العربية ، وإن اعترف أن أبا بكر وعمر كانا ينفذان أوامر القرآن، ويتبعان سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو يقول: «ولما كانت حكومة النبي وهو الوكيل الحي لله والحاكم باسمه قد انتهت، فإن أبا بكر وعمر جعلا الحكم لله، بأن جعلا مرجعهما في الحكم على الأشياء الأخذ بما في القرآن، وهو كلام الله، واتباع سنة النبي فهما لم يريدا سوى أن يكونا خليفتين لرئيس الحكومة الثيوقراطية الشرعي الوحيد، وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقد عبرا عن ذلك باللقب الذي اختاراه لأنفسهما، وهو لقب الخليفة»(١)

ويزعم "فيليب "حتى" – المميز في اظهار فضل العرب في الحضارة العالمية إلا أنه نهج منهج الاسقاط ووجه اتهاماته للصحابة رضوان الله عليهم ، بزعمه أنه توجد مؤامرة قبل مبايعة أبي بكر بالخلافة فيقول زاعماً "لعل مبايعة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح الكتلة الثلاثية التي أدارت شؤون الإسلام وهو بعد في مهده" (٢)وقد كان هذا فعل الخلفاء طوال تاريخهم، فقد كانت أولى كلمات الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه . عندما ولي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أني أعمل فيكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذًا لا أقوم لها؛ إن رسول الله كان يعصم بالوحي وكان معه ملك، وإن لي شيطانا يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني... ألا فراعوني، فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني»، وفي رواية: «يا أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن ضعفت فقوموني وإن

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان، صـ ١٠٥ – ١٠٧ (م. س).

(٢) مستشرق لبناني الأصل أمريكي الجنسية ولد في لبنان وتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ،حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا، من اهم ما قام به مساهمته في تحرير دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية والأمريكية. انظر: العقيقي صـ١٤٨ – ١٥٢. يُنظر أيضاً: تاريخ العرب المطول فليب حتى ط ،الكشاف بيروت.

أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة والكذب خيانة... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»[١].

ويحاول المستشرقون التدليل على وجود الدولة الثيوقراطية زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فهم يعتقدون أن فرض الجزية مثلا كان بأمر منه، وليس شرعة إسلامية أمرنا الله بها في كتابه، وطبقها رسول الله ، كما يظنون أنه قتل نتيجة لسياسته تلك، أو على حد تعبير أحدهم: «مات ضحية نظامه الإداري وسياسته الاقتصادية»[٢]. ويكفي للرد على مزاعمهم أن نقول: إن الأمر بالجزية واضح في شريعة الإسلام، وعمر رضي الله عنه لم يفعل أو يبتكر شرعًا جديدًا، ولكنه امتثل – كغيره من السابقين واللاحقين من الخلفاء – بأمر الله له الذي يقول فيه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [سورة التوبة:٢٩].

والأدهى من ذلك أن المستشرقين يعدون الجزية ضريبة ،مجحفة، وبخاصة في عصر الدولة الأموية، وقد بالغ بعضهم فسماها في عهدهم: "إتاوة "[٣]، وهو لفظ يشعر بعمل فردي يقوم به بعض الأشخاص بالقوة لفرض الحماية على الآخرين على الرغم من اعترافهم بأنها في مقابلة الزكاة للمسلمين، ولكنهم يعدونها أشد وطأة عليهم من الزكاة، وأكثر غضاضة منها.[٤]وقد كان لهذه الجزية وقع كبير على نفوس المستشرقين، وتصوراتهم لها في الدولة الأموية – على ما سنبين إن شاء الله.

---

(١) رواهما عبد الرزاق في مصنفه، باب لا طاعة في معصية، برقم: (٢٠٧٠١، ٢٠٧٠٢)، (١١/٣٣٦)، وروى الأول الطبراني في الأوسط ، برقم: (٥٨٩٧) ، (٨/٢٦٧) ، والبزار في مسنده برقم: (١٠٠)، (١/١٨٠)

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام بندلي جوزي، صـ٥٩ الناشر الاتحاد العام للكتاب والصحافين الفلسطينيين، ط الثانية سـ١٩٨١م.

(٣) للمزيد يُنظر: تاريخ الدولة العربية، فلهوزن، صـ٢٩ (م. س).

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان، صـ١٠٨ (م. س).

المطلب الرابع: الشبهة الرابعة والرد عليها

يقر بعض المستشرقين بأن علاقة الأمويين بالحكم بدأت منذ عهد أبي بكر وعمر حيث وفق يزيد بن أبي سفيان، وأخوه معاوية من بعده إلى أن يبلغا مرتبة بارزة في الدولة(١)، وأن ظهور الأمويين كان أبرز وأقوى في خلافة عثمان الذي عجز – من وجهة نظرهم – عن إدارة الدولة فمكن لأقاربه في الحكم، مما كان له الأثر الأكبر في الفتنة التي انتهت بمقتله ، يقول بروكلمان: «فلما كانت خلافة عثمان انتهى الأمويون إلى القمة؛ لأن عهده في الواقع عهد أسرته وعشيرته، فلقد ترك تصريف الشئون لنسيبه مروان في المدينة، وعين أقربائه حكامًا على جميع الإمارات الرئيسة، ومن هنا رأي أصحاب النبي... أن مكانتهم القديمة توشك أن تضيع على يد هذه الأسرة، التي تسعى إلى أن تسيطر على كل شيء، ولقد حاولوا بادئ الأمر أن يحرروا الخليفة من سلطان أسرته، فباءت محاولتهم بالإخفاق، وعندئذ أعلنوه الخصومة شخصيًا، وما هي إلا فترة قصيرة حتى وجد عثمان نفسه في المدينة وليس حوله إلا نفر من الأصدقاء» (٢)

ويزعم بندلي دوزي بقوله (٣) : «بويع عثمان بالخلافة وهو في سن لم يقدر معها ومع ما كان عليه من ضعف الإرادة، وتعلقه بأهله وأقاربه أن يسوس المملكة الجديدة الواسعة الأطراف بنفسه، فاضطر (٤)أن يسلم إدارتها إلى بني أمية أبناء عمه، وأقدر الناس في ذلك الوقت على إدارة البلاد، فلم يرض ذلك أكثر الصحابة، وحزب المسلمين

(١) ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان صـ١٠١ –١١٠ (م. س).
(٢) ينظر: "تاريخ الدولة العربية فلهوزن ، صـ٣٩ – ٤٤ (م. س).
(٣) راينهارت دوزي ١٨٢٠) – (١٨٨٣م)، مستعرب هولندي عني بالدراسات الأندلسية، أتقن الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية، كما درس اللغة العربية والعبرية والكلدانية والسريانية، حصل على الدكتوراه في أول مارس سنة ١٨٤٤م في موضوع: «أخبار بني عباد عند الكتاب والعرب» ثم ترجم تاريخ بني زيان في تلمسان، له العديد من التعليقات والتحقيقات على مؤلفات ودواوين شعر عربية. ينظر: موسوعة المستشرقين مرجع سابق، صـ ٢٥٩ ٢٦١ ، ٩٩، "معجم أعلام المورد مرجع سابق، صـ١٩١. (م. س).

القديم، وجماعة من آل أبي بكر وعمر –رضي الل عنهما– فأخذوا جميعًا يقامون الخليفة وأهله، ويدسون لهم الدسائس، ويحرضون الناس عليه ، فساءت حالة المملكة» (١).

ويقول فلهوزن عن عثمان: وكان أقل الستة المرشحين للخلافة تميزا وشأنا، وهو كأنما قد رشح نفسه لديهم عندما قال لهم: لأن تعينوا حجرًا خير من أن تعينوا مرة أخرى رجلا مثل عمر –رضي الله عنه، ولكن النتيجة جاءت مخيبة لظنهم؛ لأن ما كان عليه عثمان من ضعف لم يجيء مفيدًا لهم، بل مفيدًا لبيته؛ لأنه خضع راضيًا مجبورا لتأثير بيته»(٢).

وهذه النصوص تحتوي على مغالطات وافتراءات كثيرة، نلخصها في الآتي:

- فهي في البداية تقر بأن الذي عين يزيد ثم أخوه معاوية من بعده في الولاية هو أبو بكر وأقره عمر، ثم عثمان على هذا الاختيار، الذين رأوا جميعًا أن يزيدًا وأخوه كانا أهلا له – وهما كذلك بالفعل – ولكنهم يجعلون التبعة على عثمان وحده.
- ثم تصف اعتراض كبار الصحابة على هذا التمكين بأنه ضد مصالحهم الشخصية؛ لأنهم أثروا ثراء فاحشًا بعد الفتوحات، فخافوا على مكانتهم من بين أمية أن تضيع على أيديهم.
- أنهم خاصموا عثمان وغضبوا عليه جراء أفعاله تلك.
- أن بعض الصحابة تأمروا على عثمان –رضي الله عنه– وحرضوا العامة عليه.
- أن عثمان كان ضعيفا يؤثر قرابته على مصالح المسلمين.

تعقيب للباحثة

إن هذا كله لم يحدث ولم يكن ليحدث، ولكنه تفسير مغرض منهم لروايات الأحداث(٣)،

---

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام" دوزي، صـ ٦٠ (م. س)، تاريخ الدولة العربية فلهوزن، صـ٣٩ (م. س).

(٢) تاريخ الدولة العربية فلهوزن، صـ٣٩ (م. س).

(٣) فند الإمام أبو بكر بن العربي هذه المزاعم جميعًا عن عثمان الله ونفى منه ما نفاه، وضعف البعض، وبين البعض بما يتوافق مع مقام عثمان وسيرته ومكانته عند رسول الله. وكذلك فعل =

ولا أدل على من ذلك أنهم وصفوا بعض كبار الصحبة ومعهم السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم – والتي افتروا عليها بأوصاف كاذبة – بالنقمة على عثمان، بل والتآمر عليه، ومنهم علي وطلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر الصديق –رضي الله عنهم– لأن عثمان في نظرهم خرج عن الحكم الثيوقراطي إلى حكم دنيوي، ولكنهم لم يجرؤا على النضال ضده، فتركوا تلك المهمة لأهل الأمصار ، حتى وقعت الفاجعة [١].

ويرى بروكلمان أنه بعد أن هدأت الأمور نسبيًا أشعلها بنو أمية مرة أخرى برفضهم ترضية عثمان مصر الناقمين عليه، مما جعلهم – مع أسباب أخرى – يعودون إلى المدينة لينفذوا جريمتهم، بعد أن رفض عثمان طلبهم بالتخلي عن الخلافة، ولم يستطع الصحابة أن يردوا عن عثمان شئيًا، كما ابتعد المحرضون وتخلوا عنه (علي وطلحة والزبير وعائشة) في وقت حاجته إليهم مما أثار حماسة الأمويين لنصرة عثمان ومطالبتهم بدمه، [٢]ورفضهم خلافة علي.

ومما يدل على تعمد هؤلاء المستشرقين تزييف الحقيقة أن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطالبون عليًا بثأر عثمان، فكيف كانوا في السابق من المحرضين؟ وكيف انقلبوا على علي له مع أنه شريكهم في المؤامرة على عثمان؟ إن في هذا لدليلًا واضحًا على كذبهم وافتراءاتهم على صحابة رسول الله ولعلنا نلاحظ من خلال رؤية المستشرقين السابقة أنهم ينهلون من معين واحد؛ فكلامهم عن هذه الفترة شديد التشابه وكأن بعضهم يأخذ من بعض بلا دليل ولا حجة، وإنما تقليد منهم لبعض، وهذا يتنافى مع أبسط مبادئ البحث المنهجي العلمي.

المحقق الشيخ محب الدين الخطيب. للمزيد نظر: "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، صـ ٧٦ –١٧٤ ، ت/ محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي، ط دار الجيل – لبنان – بيروت – ط/٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(١) للمزيد يُنظر: تاريخ الشعوب الإسلامية" بروكلمان، صـ ١١١ ١١٣ (م. س)، وينظر: تاريخ الدولة العربية" فلهوزن، صـ ٤٣ (م. س).

(٢) للمزيد ينظر: "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ ١١٤ (م. س)، تاريخ الدولة العربية فلهوزن، صـ ٤٦– ٤٨ (م. س).

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من قيام الدولة الأموية

المطلب الأول: موقف المستشرقين من خلافة علي وحربه لمعاوية

يذهب المستشرقون إلى أن الأمويين أثاروا أهل الشام على علي بنشرهم لقميص عثمان على منبر دمشق، وأيضًا أنامل نائلة زوجة عثمان التي قطعها قتلته، وانضم إلى الثائرين عليه عمرو بن العاص، الذي وصفوه بأنه كان ممن حرض على قتل عثمان –رضي الله عنه– (١) بسبب عزل عثمان له عن ولاية مصر، وتولية قريبه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه.

وكان جل تركيز المستشرقين في هذه الأحداث على حادثة التحكيم؛ فقد ذهبوا إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين من المسلمين وغيرهم من أنه حينما دارت الدائرة على أهل الشام طلبوا تحكيم كتاب الله بينهم، وبعد إرغام علي على التحكيم اختار أبا موسى الأشعري حكمًا، واختار معاوية عمرو بن العاص حكما، وبعد مناقشات ومناورات اتفقا على خلع علي ومعاوية، ولكن عمرو خدع أبا موسى، فبعد أن قام الأخير بخلع علي، حنث الآخر في عهده وقام بتثبيت معاوية، وهنا يصف بعض المستشرقين أبا بموسى بالمغفل لأن عمرًا ،خدعه ، ووصف عمرو بأنه قد غدر غدرًا شائنًا بأبي موسى، وأن عليًا حنث في وعده باتباع ما توصل إليه الحكمان، كما أدعوا أن عليا كان يلعن معاوية في القنوت (دعاء الفجر) وقابله معاوية بالمثل، ومع ذلك يميل أحدهم إلى عدم تصديق هذه الرواية، ولكن بعد أن شان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأوصاف المقيتة(٢).

---

(١) ينظر: "تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ١٧ –٧٢، "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، ص ١١٥– ١١٦ (م. س).

(٢) للمزيد: "تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ٥٥– ٥٨، و"تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ١١٥– ١١٦. (م. س).

تعقيب للباحثة..

أولاً: لا يخفى على أحد أن هذه الأوصاف لا يجوز وصف أصحاب النبي الله – صلى الله عليه وسلم– بها، ولكنهم بطبيعة الحال لا يقيمون لهذا الأمر قيمة، فهم ينظرون إلى النبي الله ومصلح اجتماعي واقتصادي لجمع شمل العرب، وأن الهدف من إقامة هذه الدولة هو هدف سياسي في المقام الأول.

ثانيًا: وبصرف النظر عن رؤيتهم فإن هذه الرواية التي يتداولونها عن التحكيم غير حقيقية وغير صحيحة بالمرة، وقد بين الإمام أبو بكر بن العربي حقيقة الأمر، وأثنى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم ليسوا بهذه الصفة التي وصفهم بها الجهال، فقال: وكان أبو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما أرسله النبي الى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول، وان ابن العاص كان ذا دهاء وأرب، وتبع في ذلك بعض الجهال بعضا ، وصنفوا فيه حكايات، وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى، وإنما بنوا ذلك على أن عمرًا لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والفكر (١).

ثالثا: تعقيب الإمام بن العربي بقوله: الرواية المزعومة عن خداع عمرو لأبي موسى «هذا كله كذب صريح وافتراء"(٢)، مما يفند هذه المزاعم الواهية، ويقيم عليها الحجة.

رابعا: ما كان لصحابة رسول الله الا الله أن يصدر منهم مثل هذا الصنيع، ولكن بعض الكتاب في القديم والحديث ذهبوا إلى هذه الروايات الموضوعة، إما لغرض ،وهوى وإما لأنهم كانوا يجمعون الغث مع السمين، آملين فيمن يقرأ تنقيح القول، وحسن الفهم، وثقته بما علم في عدم معقولية هذه الأخبار.

(١) للمزيد: العواصم من القواصم للإمام ابن العربي صـ١٧٦ وما بعدها (م. س).
(٢) السابق نفسه صـ ١٧٧ (العواصم من القواصم لابن العربي) (م. س).

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من تولي الأمويين الخلافة

بعد مقتل الإمام علي الله عام ٤٠ من الهجرة، بايع أهل الحجاز والعراق ابنه الأكبر الحسن بالخلافة، وظلت الشام ومصر تحت حكم معاوية، ولكن بعد توليه الخلافة بستة أشهر تنازل عنها لمعاوية. ويصف بروكلمان هذا التغير الكبير في نظام الخلافة، من تولي الراشدين إلى تولي الأمويين بشيء من الانتهازية والنظرة الدنيوية النفعية، التي لا تراعي دينا، ولا حقنا لدماء المسلمين، بل هي محض تنافس على الدنيا، فيزعمون أن الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية مقابل مبلغ كبير من المال، قدره بعضهم بخمسة ملايين درهم كانت في بيت المال بالكوفة، بعد أن استولى عبد الله بن عباس على ما في بيت مال البصرة، ووصفوا الحسن الله له بأنه لم يكن رجل الساعة، وأنه كان أضعف مما كان يقتضي الموقف(١).

والحقيقة تتلخص في الآتي:

أولاً: إن الحسن الله لم يكن صاحب دنيا ، وإنما تنازل عن سلطان الدنيا، ابتغاء رضا الله ، ولكي يجمع راية المسلمين تحت قيادة واحدة، وهذا إيثار لغيره على نفسه، لا يفعله إلا الرجال الأقوياء على أنفسهم، وما فعله الحسن أخبر به النبي الله ، ومدحه، ووصفه بأنه سيد؛ لأن من ترك السيادة لأجل مصلحة المسلمين فهو سيدهم، وإن كان الحكم في يد غيره، فعن أبي بَكْرَةَ له قال: أَخْرَجَ النبي صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمِ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ على الْمِنْبَرِ فقال: «ابْني هذا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بين فِئَتَيْنِ مِن الْمُسْلِمِينَ»(٢).

ثانيا: غني عن الذكر القول بأن أول من عين أحد أبناء الأمويين في الحكم وهو يزيد بن أبي سفيان كان أبو بكر الصديق الله ومن بعده أخوه معاوية، وأقره عمر ثم عثمان

(١) للمزيد: تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ٥٧– ٥٨، و"تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ١٢١ (م. س).

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب: المناقب باب: علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٤٣٠) (٣/ ١٣٢٨).

على ذلك[١]، حتى بلغ معاوية في حكم الشام ٢٠ عامًا، قبل أن يصير أميرًا للمسلمين جميعًا، كما كان فيهم حكام متميزون مثل مروان بن الحكم الذي جمع شمل الأمويين مرة أخرى، ثم ابنه عبد الملك وأولاده، ثم ابن أخيه عمر بن عبد العزيز الله الذي وصف بأنه خامس الخلفاء الراشدين.

اتهامات المستشرقين لبني أمية

وإلى جانب ما تقدم اتهم بعض المستشرقين الأمويين بعدة تهم يأتي على راسها:

أولا: إن بني أمية ابتعدوا عن الدين إلى المنافع الدنيوية فقط، فالروح السائدة في الدولة الأموية غير دينية، على حد تعبير فان فلوتن[٢].

ثانيا: إن بني أمية كانوا يمثلون سيادة الأمة العربية لا سيادة الإسلام» كما قال ،فلهوزن[٣]

ثالثا: إن المسلمين تأثروا في عهدهم بالمؤثرات الأجنبية، كما أفاد فون [٤].

وخلاصة القول في رأي الباحثة: لا يعد تأثرًا أو بعدًا عن الدين بقدر ما هو تطور طبيعي للدولة الإسلامية، فبعد أن كان العرب هم من يمثلون الإسلام فقط، دخل في الإسلام كثير من أهل الديانات والحضارات الأخرى، واختلطوا بالمسلمين فعرفوا لغة الإسلام ودينه ومصدر قوته، وكان من الطبعي أن يتأثر المسلمون بهم كما تأثروا هم بالعربية والإسلام.

(١) للمزيد: "تاريخ الدولة العربية فلهوزن ، ص ٥٥: ٥٨ ، "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ١٠٢ – ١١٠ (م. س).

(٢) السيطرة العربية والتشبع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية صـ٢٩ ترجمة / إبراهيم بيضون ط دار النهضة العربية بيروت لبنان سـ١٩٩٦م.

(٣) للمزيد: "تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ٦٧ (م. س).، "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ١٢٢– (م. س).

(٤) للمزيد: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، فون كريمر صـ٦٠ –٦١، وصـ٩٢ وما بعدها ترجمة/ د مصطفى بدر ط دار الفكر العربي. (م. س).

المطلب الثالث: موقف المستشرقين من دين الخلفاء والولاة في دولة بني أمية

مما لا شك فيه أنه ثمة أمور متعددة تناولها المستشرقون حول بني أمية –خلفاء وولاة- تقدح فيهم وفي خلقهم، يأتي على رأسها:

أولاً: يعتقد معظم المستشرقين أن بعض خلفاء الدولة الأموية وولاتهم كانوا يحكمون حكمًا ثيوقراطيًا (دينيا) – كما سبق – على الرغم من ذهابهم إلى أن أغراضهم وأهدافهم من الفتوحات كانت دنيوية مادية – كما سنذكر – ومن أكثر الخلفاء الذين اتهموا بذلك هو الخليفة عبد الملك بن مروان، يقول بروكلمان: أدخل عبد الملك روحًا جديدة إلى بلاطه، كان أسلافه يعاملون الرعية على طريقة شيوخ القبائل العربية القدماء، فلما انتهى إليه الأمر خرج على هذه السنة، وحكم المملكة حكمًا مطلقا، وإذ كان هو ممثل الثيوقراطية فقد وسع من نفوذ الفقهاء، وأدى فروضه الدينية بأمانة وحرص، ولكن هذا لم يمنعه من أن يدعو إلى بلاطه الشاعر النصراني الأخطل... الذي لم يكن مقيدًا بأي من الاعتبارات الدينية، ومن هنا استطاع الخليفة حمله على أن يتعرض بشعره البليغ الأثر للمعارضين من أتقياء أهل المدينة، الذين كانوا لا يفتأون يزعجون الدولة بين الفينة والفينة»(١).

وهذا النص يبين لنا كمية التناقض الذي وقع فيه هذا المستشرق ؛ فهو يصف الخليفة عبد الملك بأنه ممثل الحكم الديني، وأنه وسع من نفوذ الفقهاء، كما أنه كان يؤدي فرائض دينه بأمانة وحرص، ثم يزعم أنه استعان بشاعر نصراني على هجاء الأتقياء من أهل المدينة الذين كانوا يزعجونه بين وقت وآخر، فكيف يستقيم أن يقيم الدين، ثم يحارب أهله؟!

ثانياً: ذهب بعض المستشرقين إلى أن مكة والمدينة أصبحتا دور لهو ولعب في عهد الأمويين، وهذه فرية أخرى لا ندري من أين استقوها !! يقول بروكلمان: «إن الأرستقراطية التي كانت تهتم بالدنيا أكثر من اهتمامها بأمور الآخرة، والتي أقصاها أهل الأمصار عن تعهد شؤون الدولة، انغمست في مباهج الحياة العابثة ،و متارفها ، ففي مكة بنى أحد

(١) للمزيد: "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان صـ١١٥ – ١١٦ (م. س).

المواطنين الأثرياء أول قاعة للعب والقراءة، فكان الضيوف يجدون فيها الشطرنج وغيره من ألعاب الرقع، كما يجدون الكتب سواء بسواء، وفي المدينة غذى الشاعر الأحوص الشعر الغزلي، وكيف يونس الفارسي الموسيقى، فأدخل عليها ألحانا جديدة لتعزيز حياة الترف، ولكن ملاهي المدنيين لم تكن بريئة إلى هذا الحد فما هي إلا فترة حتى اكتسبت مدينة الرسول شهرة واسعة في حسن استقبالها لأفضل المغنيات، وأسهلهن قيادا(١).

والحقية: إن هذه الفرية عن مكة والمدينة في هذا الوقت لازمة من لوازم ادعاءاتهم أن الفاتحين كانوا أهل دنيا ورغبات شخصية بعيدة عن الدين وقيوداته، إن هذه الفترة التي يتحدثون فيها عن اللهو والمجون في مكة والمدينة كانت تعج بالعلم والعلماء في جميع فروع العلم، كما كانت هي زمن التدوين فيها، وكان في المدينة وقتها الفقهاء السبعة، وكان في مكة تلاميذ عبد الله بن عباس حبر الأمة، الذي ملأ الدنيا علما وفقها.

ثالثا: كما يزعم فلهوزن بقوله: " كانت موضوعات الشكوى أن العمال يسيئون استعمال سلطتهم ويظلمون الناس ، وأن أموال الدولة تجري في جيوب أفراد قلائل يستأثرون بها، على حين ان جيوب غيرهم تبقى خالية وأن الزنا والعهر والشراب والميسر أصبحت لذات السادة لا يعاقبون عليها لأن الحدود معطلة(٢).

تعقيب..

ترى الباحثة أن هذا التعميم الواضح في حكم فلهوزن على كل حكام بني أمية ؛ إنما هو من الحكم الجائر، وأي حدود عطلت يراها فلهوزن ؟؟ فلو عطلت الحدود لثار الناس وهاجوا وما حدث للوليد الثاني ابن يزيد الذي كثرت حوله الاشاعات من قبل خصومه ووصفوه بأنه فاسقا بغض النظر عن كون التهمة صحيحة أم لا _ كانت ردت العقل أن خرج عليه الناس فقتلوه ، فلو كان كل حكام بني أمية كما يراهم فلهوزن انهم لا يصلحوا للسيادة والحكم لما استمر حكم هذه الدولة سنوات عديدة !!!

(١) السابق نفسه (تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان) صـ ١٣٥ – ١٣٦.

(٢) للمزيد: تاريخ الدولة العربية فلهوزن صـ٧٧ "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان صـ١١٧ (م. س).

رابعا: ادعى بعض المستشرقين عدة ادعاءات عن أخلاقيات بعض خلفاء بني أمية وولاتهم وسلوكياتهم فاتهموا معاوية بأنه أجبر الناس على ولاية العهد لابنه يزيد، ولقد حظي يزيد هذا بالقدر الأكبر من الاتهامات الغير أخلاقية، فقد وصفه أحدهم بأنه قد انصرف إلى الخمر والموسيقى واللهو بأكثر مما انصرف إلى شئون الدولة [١].

ويكفي في الرد على هذه الفرية التي انتشرت حتى بين مؤرخي المسلمين أن ننقل ما ذكره الإمام أبو بكر بن العربي عن الإمام أحمد بن حنبل في زهد يزيد ، يقول: «وهذا أحمد بن حنبل على تقشفه ، وعظيم منزلته في الدين وورعه، قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد أنه كان يقول في خطبته إذا مرض أحدكم مرضا فأشفى ثم تماثل فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه، وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين، الذين يقتدى بقولهم ، ويرعوى من ،وعظهم، ونعم ما أدخله إلا في جملة الصحابة قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين، فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور ، ألا تستحيون؟[٢].

وهذا من تشويه المستشرقين للقادة العظام، الذين لا يهتمون لهذه الصراعات الدنيوية، ولا يحدث بينهم هذه الرذائل الخلقية، وإنما كل غرضهم الجهاد في سبيل الله، ونيل الشهادة عنده، وهذا ما حدث مع موسى بن نصير الذي جاهد وجاهد حتى سقط شهيدًا في ميدان المعركة[٣]، ولعله بعد هذا الطرح المختصر يتضح موقف المستشرقين من بني أمية وولاتهم، وكيف اتخذوا منهم موقفاً واضحاً في الجانب الديني والسلوكي والخلقي.

(١) السابق نفسه (تاريخ الدولة العربية لفلهوزن) صـ١٢٩ (م. س).
(٢) للمزيد: العواصم من القواصم لابن العربي صـ٢٤٥ – ٢٤٦ (م. س).
(٣) للمزيد: الحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ ٦٢ ط دار الفكر العربي بيروت (م. س).

المبحث الرابع: الرؤى الاستشراقية حول الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية

المطلب الأول: الرؤى الاستشراقية حول الغزو والجهاد في عهد الدولة الأموية

يرى كثير من المستشرقين أن الهدف من الفتوحات الإسلامية لم يكن دينيًا، وإنما كان دنيويا بحتا، بل إنهم يسمون الفتوحات غزوا من أجل الغنائم والأموال، نلخص هذه الادعاءات والشبهات التي زعموها للفتوحات الإسلامية في عصر الدولة الأموية، فيما يلي:

١. أن الرغبة في الجهاد كانت مادية، وليست دينية(١)
٢. أن الغرض من الجهاد هو إخضاع العجم للعرب(٢).
٣. أن الفاتحين كان همهم المصالح الشخصية، فالفتوحات كانت تهدف إلى اغتصاب الأموال ونهبها ؛ ولذلك أثرى العرب ثراء بالغا، بما في ذلك الصحابة(٣).
٤. أن الإسلام ذاته نشأ لحاجة اقتصادية واجتماعية، وليست دينية، فالنبي كان مصلحًا اجتماعيًا؛ ولذا فإن من أهم أسباب دخول العرب في الإسلام هو تأمين طريق التجارة(٤)
٥. أن العرب لم يتأثروا بالإسلام أكثر من تأثرهم بعاداتهم العربية(٥)

(١) للمزيد يُنظر: السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ج. فان فلوتن صـ ٢٦-٥٤ ترجمة/ إبراهيم بيضون ط دار النهضة العربية، بيروت لبنان سـ ١٩٩٦م.
(٢) للمزيد: تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ ١٠٧ (م. س).
(٣) للمزيد: السيطرة العربية فلوتن، صـ ٢٥- ٢٦ (م. س)، من تاريخ الحركات الفكرية في "الإسلام دوزي، صـ ٥٥، "تاريخ الدولة العربية فلهوزن، صـ ٤١. (م. س).
(٤) للمزيد: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام" دوزي، صـ ١٧، ٢٢، ٢٩، ٣٠ (م. س).
(٥) للمزيد: تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ ١٦٠ (م. س).

تعقيب

وترى الباحة ما يلي:

أولا: لا يخفى ما في هذه الدعاوى من كذب وافتراء ، فلو كان ما ذكروه صحيحًا، ما قبل المسلمون منهم إلى الجزية، حتى ولو أسلموا، ولكنهم بمجرد إسلامهم تسقط عنهم الجزية، ويعدون مسلمين متساويين في الحقوق والواجبات مع المسلمين العرب في كل شيء، وأكد النبي على ذلك في حجة الوداع فقال: «يا أَيُّهَا الناس ألا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأَحْمَرَ على أسود ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى»(١).

ثانيا: إن وموضوع الغنائم في عصر الدولة الأموية، لم تختص به دولتهم، بل هو أمر معروف منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ولم يكن ذلك أمرًا جديدًا يظهر مع بداية العهد الأموي، كما أن الإسلام لا يحرم هذه الغنائم، ما دامت ناتجة عن الغزو، وليست هدفا له بالإضافة إلى أن الأدلة الواردة على تحول الحرب في عصر الأمويين إلى وسيلة للتكسب، لا تنهض دليلا على ما ذهب إليه المستشرقون، فإن معظمها وقائع لم تثبت تاريخيا، وإن ثبتت فإنها تحمل على جمع هذه الأموال وتحويلها إلى بيت مال المسلمين لمواجهة زيادة نفقات القتال(٢).

والغنائم في الإسلام لم تكن بدءًا من الأمر، فقد كان هذا سنة العالمين في الحروب، كما أننا لا ننفي بحال وجود العنصر المادي، ولكن في إطار الفهم الإسلامي لذلك، ضمن العوامل التي دفعت نحو الفتوحات الإسلامية، وهذا يعني أن نضع ذلك العامل

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده حديث رجل من أصحاب النبي برقم: (٢٣٥٣٦) ، (٥/٤١١)، والطبراني في الكبير ، برقم: (١٦) ، (١٨/١٢) ، ورجاله رجال الصحيح. ينظر: "مجمع الزوائد ومنبع "الفوائد" علي بن أبي بكر الهيثمي، (٨/٨٤) ، ط دار الريان للتراث دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧هـ.

(٢) للمزيد: الفتوحات الإسلامية بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين د/ جميل عبدالله المصري صـ٧٨ مقال بمجلة المنهل السعودية مـ٥ سـ١٩٨٩م. .

في ترتيبه الطبيعي ضمن منظومة العوامل الأخرى، فلم تكن الغنائم هي الدافع الأهم للقيادة الإسلامية نحو الفتح والجهاد، وإن وجد لدى بعض الأفراد أو لدى كثير منهم، وهؤلاء لا يخلو منهم جيش حتى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين وتبوك وغيرها، ولكن هذا بالطبع لا يمثل وجهة نظر المسلمين في فتوحاتهم، ولا يمثل القيادة الفكرية التي كان يتبناها الخليفة والقادة وينفذها الجند، كما أنه لا يمثل وجهة نظر الأمة ورأيها العام)[1].

ثالثا: إن الغرض من الجهاد في الإسلام ديني في المقام الأول، ولكن هذا لا يمنع من الفوائد الدنيوية وهي إحدى الحسنيين التي وعد الله بها عباده المؤمنين، كما قال: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ [سورة التوبة:٥٢]، يقول الحافظ ابن كثير: فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها ،وبحرها وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبا ، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه، فقتيبة ابن مسلم يفتح في بلاد الترك يقتل ويسبي ويغنم... ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم، ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية، وبنى بها مسلمة جامعا يعبد الله فيه، وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعبا، ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم، وموسى بن نضير يجاهد في بلاد العرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرها، وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان»[2]..

(١) للمزيد: الدولة الأموية المفترى عليها د / حمدي ،شاهين، ص ٢٤٠ (م. س).
(٢) للمزيد: البداية والنهاية للإمام ابن كثير جـ٩ صـ٧٨ ط مكتبة المعارف ببيروت لبنان بـ تـ..

رابعا: لقد كثرت الفتوحات الإسلامية واتسعت في عصر الدولة الأموية، ما «بين الصين في الشرق، وبلاد الأندلس وجنوبي فرنسا في الغرب، ولم تكن الفتوحات لتتم هنا على أيدي قادة والخلفاء وأبناؤهم يعيشون في القصور، بل إن الخلفاء أنفسهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الجهاد ويشهدون القتال، فقد أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لحصار القسطنطينية، وأرسل عبد الملك ابنه الوليد للغزو في بلاد الروك، وكان ابنه الثاني مسلمة قائد جبهة الروم، وغزواته أكثر من، وحصاره لمدينة الروم "القسطنطينية" معروف مشهور، وكان أخوه محمد بن مروان أمير الجزيرة يتولى أمر الغزو في معظم الأحيان... كما أن سليمان بن عبد الملك كان ابنه داود على رأس قواته المجاهدة في بلاد الروم، أما هشام بن عبد الملك فقد كان يفرض الغزو على بني مروان جميعًا، ومن يتأخر عن الغزو يمنع عنه العطاء، وكان أولاده في مقدمة الغزاة، ومنهم: معاوية، وسليمان ومسلمة، وسعيد، وغيرهم، أما مروان بن محمد فكان نفسه يقود الجيوش، ويصبر في القتال صبرا شديدا، حتى لقب بالحمار» [(١)]..

خامسا: إذا كان الخلفاء وأولادهم يقومون بأنفسهم بالجهاد، فليس لهذا إلا معنى واحد، وهو نوال الأجر الديني على ذلك، فلو كان همهم جمع المال وكثرة الغنائم لأرسلوا قوادهم من غير أولادهم لتحقيق هذا الغرض الدنيوي، ولا يعرضونهم للموت في ساحة القتال، ولكنهم لم يفعلوا فدل ذلك على أن الجهاد في سبيل الله هو الهدف الأسمى من وراء القتال.

والخلاصة..

أما عن زعمهم أن النبي مجرد مصلح اجتماعي أو سياسي وليس نبيا صاحب رسالة ودين، وجاء بما ينفع ويصلح العرب [(٢)]، كما يزعمون فلما عاداه قومه وآذوه هو وأصحابه

(١) للمزيد: التاريخ الإسلامي د/ محمود شاكر جـ٤ صـ٤٨ ط السابعة ط المكتب الإسلامي سـ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) كما زعم بروكلمان في كتابه: " تاريخ الشعوب الإسلامية صـ ٦٨ (م. س).

هذا الإيذاء؟ لقد كان في إمكانه أن يكون زعيمًا لقريش وأغنى رجل فيها، عندما عرضوا عليه ذلك في بداية الدعوة، فلما رفض ذلك وأصر على تبليغ رسالة ربه؟ ولماذا أعرض هو وأصحابه والتابعون لهم بإحسان عن متع الدنيا وزخرفها إذا كانوا يريدون الحياة الدنيا؟

وإذا كان العرب لا يزالون متأثرين بعاداتهم وتقاليدهم القديمة فما السبب في تقدمهم وعلو قدمهم ورفعتهم على سائر الأمم؟ لماذا لم يحدث ذلك طوال تاريخ العرب قبل الإسلام؟ ونحن نعلم جميعًا ما كان عليه العرب قبل الإسلام، وماذا أحدث فيهم الإسلام من تغيير شامل جعلهم سادة العالم لقرون طويلة. وقد أقر بعض المتأثرين بالمستشرقين من العرب أن المسلمين لم يجرؤهم على الفتح ويساعدهم عليه إلا الدين، وشدة الاعتقاد بالنصر... فضلا عن عدلهم ورفقهم) [1]، وثبت بذلك عكس ما يزعم هؤلاء المستشرقون، وأقيمت الحجة وظهرت الحقية.

(١) للمزيد: تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ج١ صـ٨٢ ط دار الشعب سـ١٩٨٨م.

المطلب الثاني: الرؤى الاستشراقية لموقف الدولة الأموية من أهل البلاد المفتوحة

إذا كان العرب المسلمون غزاة، وأغراضهم من فتوحات البلدان كان دنيويًا بحتا – كما سبق الزعم بذلك – فمن الطبعي أن تكون معاملتهم لأهل هذه البلاد سيئة، بل ووحشية على حد تعبير أحدهم(١). لقد كان موقف العرب الفاتحين على حسب ادعاءات المستشرقين هو موقف السيد من المسود والمنتصر من المهزوم، ولذلك عاملوهم معاملة المواطنين من الدرجة الثانية فاضطهدوهم(٢)، وضيقوا عليهم في معيشتهم، كما فعل عبد الملك بن مروان الذي حد من الحرية التي كانت ممنوحة للرعايا المسيحيين ؛ ابتغاء تعزيز وحدة الإمبراطورية وضمانها(٣)، والاستيلاء على أراضيهم بعد أن منعهم عمر منها(٤)، بل وقاموا بالاستيلاء على كنائسهم وبناء المساجد مكانها(٥).

وبلغ هذا الاضطهاد – في زعمهم – حدًا أن تمنى الأقباط أهل مصر) أن يعودوا إلى حكم لرومان مرة أخرى، يقول جوزي: فهذه الأمة القبطية مثلاً التي استقبلت الجيش العربي الفاتح استقبال الصديق الأعز الزاحف لتخليصها من أيدي عدوها، وساعدته بالقوة والنصيحة على فتح البلاد، لم تلبث أن انقلبت عليه، وأخذا تسيء الظن به وتتذمر

(١)ينظر: فان فلوتن في كتابه السيطرة" العربية والتشيع" صـ ٢٧ (م. س)، "تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، صـ ١٧١ (م. س).
(٢) للمزيد ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان صـ ١٣٥ (م. س).
(٣) السابق نفسه صـ١٣٥.
(٤) للمزيد ينظر: "من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام جوزي، صـ ٦٤ ٠م. س).
(٥) للمزيد ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان صـ ١٤١ (م. س)، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام" جوزي، صـ ٦٢ – ٦٣ (م. س).

من سياسته الداخلية والمالية؛ لأنها رأت من أفعاله ما نفرها منه، وأوغر صدرها عليه، وجعلها تحن إلى أيام عبوديتها السابقة»[١].

ومن هنا ذهب بعض المستشرقين إلى أن العرب المسلمين عاشوا عبئًا أو عالة على أهل البلاد المفتوحة، فالشعوب المغلوبة تبذر ،وتحرث والمسلمون يحصدون ويشغلون أنفسهم بمهنة شريفة هي الحرب (١) وبعد هذا الحكم يقر صاحبه بأن الحكم العربي قام بخدمات مهمة لأهل البلاد المفتوحة، كبناء الطرق، وحفر الأقنية، وتأمين الحماية للشعب إلى آخر ذلك[٢]. فها هي الحقيقة تخرج من بين أيدهم بوعي وإدراك، فيعترفون أن الأموال التي كانت يأخذها المسلمون (الجزية) كانت ترد عليهم مرة أخرى، في صورة خدمات ومصالح تتعلق بها حياتهم ومعيشتهم.

كما أقر بعض السائرين على منهج المستشرقين من العرب بأن أهل البلاد المفتوحة كانوا يتوقون إلى حكم العرب ويفضلونه؛ لأنهم أقرب إليهم لغة ونسبًا وأخلاقاً، وقد توسموا الخير في هذا القادم المجهول، أكثر مما يتوسمونه في الحاضر المعلوم، خاصة وأن العرب كانوا في دور نموهم ونهضتهم، بخلاف الفرس والروم الذين كانوا في دور انحطاطهم؛ لفساد أحكامهم وآدابهم[٣]، ولعل هذه النقاط الرئيسة أظهرت وجهة النظر لدولة بني أمية، بما يدحض لشبهات والواقف المعادية.

(١) ينظر: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام جوزي صـ٦٢ –٦٣ (م. س).
(٢) للمزيد: السيطرة العربية والتشيع، فان فلوتن صـ٢٤ (م. س).
(٣) للمزيد: تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان جـ١ صـ٧٩ (م. س).

المطلب الثالث: الرؤى الاستشراقية للدولة الأموية حول علاقتهم بالموالي وجمع الجزية والخراج

أولا: علاقة العرب بالعجم والموالي.

بحسب نظرة المستشرقين استولى المسلمون العرب على كثير من البلاد المجاورة لحدود الجزيرة العربية عن طريق السيف، وهذا الاستيلاء كان غرضه جمع الأموال والسيطرة على هذه البلاد، وبسبب هذه الحروب استرق المسلمون كثيرًا من الرجال والأطفال، وأخذوا النساء سبايا وإماء بملك اليمين، وكانت العلاقة بين المنتصر والمهزوم هي علاقة الأسياد بالعبيد – كما سبق القول–.

ومن أجل جمع المال والسيطرة على الشعوب استغل الأمويون – على ما يرى بعض المستشرقين – الدهاقين(١) وهم كبار الملاك، واستخدموهم في المناصب الإدارية وجباية الضرائب من الناس، وقد أثر ذلك على المزارعين وصغار الملاك، الذين أطلق عليهم مؤرخو العرب اسم "العلوج" فهؤلاء ساعت أوضاعهم؛ إذ إن تحولهم إلى الإسلام عاد إليهم بالمرارة وخيبة الأمل – على حد قول بعضهم – فيزعم فلوتن بقوله "فقد وقف طمع العرب وكبرياؤهم القومي فضلا عن جشعهم عقبة كأداء أمام أي تعديل في أوضاع هؤلاء المضطهدين عبر هذا السبيل رغم اعتناقهم الإسلام"(٢).

وحتى علماء الإسلام الذين نبغوا في شتى العلوم الشرعية وغيرها، لم يسلموا من هذا الاضطهاد أو الشعور بالدونية أمام الفاتحين العرب، فقد ادعى بعض المستشرقين أن هؤلاء العلماء لم يشعروا بالمساواة بينهم وبين العرب على الرغم من أنهم كرسوا أنفسهم للدراسات القيمة التي كان لها أكبر احترام، وهي الدراسات المتعلقة بالعلوم الشرعية، وأنه

---

(١) جمع دهقان: أي التاجر، وهو فارسي العرب، وهم الدهاقنة والدهاقين، ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (د هـ ق) (١٣ / ١٦٣) (م. س).

(٢) للمزيد: السيطرة العربية والشيعة، فان فلوتن صـ٣٩ (م. س)، والحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ٧٨ – ٧٩ (م. س).

كلما كانت طبقة العلماء تزداد نفوذًا، كلما كان يزداد نفوذ الموالي، الذين كانوا يشعرون بثقل وطأة خضوعها للطبقة الحاكمة المؤلفة من أبناء الفاتحين(١).

قد بدأ هذا التوتر في العلاقة بين العرب والعجم في نظر بعض المستشرقين من خلافة عثمان بادعائه ملك أرض السواد الأرض الخصبة من (العراق ومن يومها بدأ العرب يعاملون غيرهم معاملتهم لجنس أقل منهم مكانة، ويستند المستشرقون في ذلك إلى بعض الأخبار والآثار التي تحط من شأن الموالي، ومنها خبر لا أصل له يقول: لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى(٢)، وبلغ من احتقار العرب للموالي بحسب رأي بعض المستشرقين أنهم كانوا غير مقبولين في مساجد العرب؛ حيث كانت لهم مساجدهم الخاصة(٣).

ومن هنا كان العربي الأصيل يعتبر نفسه أرفع وأشرف من المسلم الجديد الفارسي والشامي، وقد رتب على هذه العلاقة ظهور حزب يعرب باسم "الشعوبية" أي: أنصار الشعوب، لم يجعل مبدأه الأصلي مساواة العرب والأجانب مساواة تامة فحسب، بل ذهبت إلى تفضيل الفرس على العرب؛ لأنهم أعلى منزلة منهم(٤).

---

(١) للمزيد: الحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ٨٠ (م. س).

(٢) لا يوجد هذا الخبر في أي من كتب السنة أو الفقه، بل إن العمل على أن الصلاة لا يقطعها شيء، يقول الشوكاني: فلا تقطع الصلاة بشيء مما مر بين يدي المصلي مطلقا من امرأة أو حمار أو كلب أو شاة أو غير ذلك، وبذلك أخذ الجمهور من الصحابة فمن بعدهم، ومنهم الشافعي وأبو حنيفة ومالك، وقال أحمد يقطع الصلاة الكلب الأسود لما ورد في حديث أنه شيطان». فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ٥/٣٩٢ ، ط دار الفكر – بيروت.

(٣) للمزيد: السيطرة العربية والشيعة، فان فلوتن صـ٤٠ (م. س).

(٤) للمزيد: الحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ٨٥ (م. س)، ومن تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، جوزي صـ٦٥ (م. س).

لقد كانت هذه الحركة على ما يقول بعض المستشرقين نتيجة لكره العرب للأجانب، وأنفتهم الجاهلية لمبدأ المساواة بين العرب، وبالتالي وجد قسم كبير من سكان البلاد المغلوبة ناقمة على العرب ودولتهم، يعمل سرًا وعلانية على تقويض ملكهم ومقاومتهم بالسيف والقلم، كما تشهد على ذلك الحركة الشعوبية، التي اشترك فيها الفارسي والنبطي والتركي وغيرهم من الشعوب الواجدة على سياسة بني أمية العربية(١).

ويزعم هؤلاء المستشرقون أيضا أن تعاليم الإسلام لم تكن كافية في تحقيق مبدأ المساواة بين المسلمين وغيرهم، فلقد أخذ بعض المسلمين النصوص التي تدعو إلى المساواة بين الأجناس إلى البشرية على مأخذ آخر ، وهو أن جميع المسلمين يجب أن يكونوا متساوين أمام الله وفي الحياة الأخرى فيما يختص بالأمور الدينية، ولكن لا مجال للأخذ بها، ولا معنى لها في هذه الحياة، وإلا أصبحت الميزات المترتبة على الأصل أو المركز معطلة(٢).

وكان من أثر هذا تمييز العرب على العجم وتفضيلهم عليهم أن قامت الثورات العديدة في وجه الأمويين، والتي اشترك فيها العجم مع الثائرين على الدولة الأموية من الخوارج والشيعة، مثل ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي ثار على الأمويين للأخذ بثأر الحسين – فيما يزعم –، وقضى عليها الحجاج، وكذلك قضى على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث، ثم قامت ثورة الحارث بن سريج في خراسان، وغيرها من الثورات التي أخمدها

(١) للمزيد: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، جوزي صـ٦٦ – ٦٧ (م. س).
(٢) للمزيد: الحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ٨٧ (م. س)، تاريخ الدولة العربية، فلهوزن صـ٦٧ (م. س).

الأمويون، ولكن بقي ،أثرها، وبخاصة هذه الثورة الأخيرة التي ساهمت بشكل كبير في القضاء على الدولة الأموية، وظهور الدولة العباسية عليها من خراسان صاحبة الثورة(١).

وقد كال المستشرقون هذه الاتهامات للدولة الأموية على الرغم من إقرارهم بقصور تلك الدراسات عنها، من ناحيتين:

الأولى: «أننا لا نعرف سوى القليل عن أوضاع الشعوب المغلوبة ومعاناتها، وذلك يعود إلى أن المؤرخين العرب لم يكترثوا لهذا النوع من الأخبار التي ظلت على هامش كتاباتهم.

الثانية: أن الأحداث المعروضة على الرغم من ضالتها كمادة تاريخية، تسوغ الرأي السلبي في تقويم الحكم الأموي، وتؤكد... أن المسألة لم تعد دعوة دينية، بل تحولت إلى دعاية شبه مبرمجة، لا تتوخى سوى النهب(٢).

هذا كله دليل إدانة للمستشرقين على أنفسهم، فبالرغم من قصور الدراسات، وضآلة المادة العلمية التي اعتمدوا عليها في تصوراتهم، إلا أنهم في النهاية يميلون ناحية تصديق ما وصل إليهم من أخبار تحقق لهم مآربهم الشخصية في التقليل من قدر هذه الدولة وتشويهها أمام الشرق والغرب على السواء.

وخلاصة القول:

أولاً: هذه مزاعم غير صحيحة في مجملها، فغير المسلمين هم أهل الذمة والعهود والمستأمنين، ولهم حقوق معروفة في الإسلام، ومما يفند هذا الادعاء الحوار الذي دار بين عبد الملك بن مروان والزهري سأله عمن يسود مكة واليمن ومصر والشام ، وأهل الجزيرة وخرسان والبصرة وفي كل مرة يكون حينما جواب الزهري أن السائد لهذه الولايات كان من الموالي وليس من العرب باستثناء الكوفة التي كان يسودها إبراهيم النخعي

(١) للمزيد: الحضارة الإسلامية، فون كريمر صـ٨٨ (م. س)، تاريخ الدولة العربية، فلهوزن صـ٦٨، السيطرة العربية، فان فلوتن صـ٤٤ – ٧٣، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، جوزي صـ٦٣ (م. س).

(٢) للمزيد: السيطرة العربية، فان فلوتن صـ٣٨ (م. س).

العربي؛ فهذه القصة تدل على أن الموالي لم تُغمط أو تُهضم حقوقهم في السيادة ؛ وإن كان عبدالملك يتمنى انهم من العرب وهذا لأن الفترة التي سادت فيها بنو امية لابد أن تعتمد على العرب التي نشأت بينهم قبل اندماج الداخلين فيها فهذا أمر طبيعي ولا عنصرية فيه وإن كان هنالك من الموالي من يناهض ضد الدولة ، وعلى الرغم من ذلك كان غير المناهضين يتمتعون بكافة حقوقهم في ذلك العصر.

ثانيا: الغريب من هؤلاء المستشرقين فهو إقرارهم هنا بتمتع من دخل في الإسلام بحقوق ومزايا عديدة، ولكنهم يجعلونهم دائمًا في درجة أقل من المسلمين العرب الفاتحين. والأغرب من هذا زعم بعضهم أن الأمويين جميعا – عدا عمر بن عبد العزيز – كانوا يأخذون الجزية[١] ممن دخل في الإسلام حتى بعد إسلامه، «فقد حملوا أهل الطبقة الثانية (المسلمون الجدد) على تأدية الجزية والخراج[٢]، كأنهم لم يدخلوا في الإسلام، ولم تجر عليهم أحكامه، فكانت نتيجة هذه السياسة الاقتصادية أن قل عدد الداخلين في الإسلام، وزاد استياء الذين دخلوا منهم من الأسرة المالكة، والدين الجديد حتى حملهم على الخروج عليها، والعمل مع سائر أعدائها على إسقاطها»[٣].

---

(١) للمزيد: الجزية هي: ما يُؤْخَذُ من أَهْلِ الْكُفْرِ جَزَاءً على تَأْمِينِهِمْ وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ مع إقْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِن الْجَزَاءِ وهو الْمُقَابَلَةُ؛ لأَنَّهُمْ قَابَلُوا الْأَمَانَ بمَا أَعْطَوْهُ من الْمَالِ، فَقَابَلْنَاهُمْ بِالْأَمَانِ وَقَاتِلُونَا بِالْمَالِ. ينظر: "حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني على العيدي العدوي المالكي جـ١ صـ٦١٧ ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي ط دار الفكر، بيروت سـ١٤١٢هـ ، ولسان العرب لابن منظور مادة (الجزية) (م. س).

(٢)ا لخراج: لَفْظة عرفت مُنْذُ الأَيَّام الأولى لِلْإِسْلَامِ وتعني الضريبة السنوية الْمَفْرُوضَة على الْأَرَاضِي الَّتِي تزرع حبوبا ونخيلا وَفَاكِهَة ، يَدْفَعها المزارع للمقطع صاحب الأرْض الإقطاعية ليؤديها بدوره إلى خزانة الدولة بعد استقطاع مُخْتَلف المصروفات. ينظر: "الخراج" أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت: ١٨٢هـ ص٣ ت طه عبد الرءوف سعد حسن محمد ، ط المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) للمزيد: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، دوزي صـ٦٢، والسيطرة العربية والشيعة، فان فلوتن صـ٥٥ (م. س).

ثالثا: ويوجه بعض المستشرقين نقدًا عكسيًا لهذه السياسة، فينتقد الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ لأنه أمر بعدم أخذ الجزية ممن أسلم، وكان من نتيجة هذه السياسة أن ارتفع عدد الذين اعتنقوا الإسلام، ولكنه أدى في الوقت ذاته إلى نقص محسوس في واردات بيت المال وأضرت به لدرجة اعتبرها البعض ضربة وجهت للبيت الأموي أكثر عنفًا من إدارة الحجاج نفسه، ومن أجل ذلك لجأ البعض إلى اشتراط الختان والإلمام بالقرآن، غير أن ذلك لم يحقق الفائدة المرجوة، وكان لا بد من العودة إلى الجزية، ولكن الخليفة الملتزم دينيًا لم يتراجع عن قرار(١)، فقد كان يأمر عماله: «... وأن يفتح لأهل الإسلام باب الهجرة، وأن توضع الصدقات والأخماس على قضاء الله وفرائضه(٢).

تعقيب للباحثة..

لا أدري ماذا يريد المستشرقون من هذا التناقض فرض الجزية على من أسلم أم إعفاءهم منها؟ كما أن القول بأن فرضها أثر بالسلب على بيت مال المسلمين فى عهد عمر الثاني خطأ كبير، فالذي قررته كتب السير والتاريخ أن بيت المال كان يفيض بالمال في عهده الله على غير ما يزعم هؤلاء من سوء الإدارة الاقتصادية في عهده. ولعل السبب في أخذ الجزية ممن أسلم – على ما يذكر الطبري – أن بعض الولاة كتب إلى أحد عماله على السفد قائلاً: «إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السفد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذا من الجزية، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن، فارفع عنه خراجه»(٣)، وهذا النص يبين لنا كثيرًا من الأمور ، ويرفع سوء الظن عن أخذ الجزية ممن أسلم، وفيه دلالة كبرى على أن الإسلام لا يجبر أحدًا على الدخول فيه، بل على العكس من ذلك، يحتاط أشد

(١) ألح فان فلوتن في كتابه: السيطرة العربية.. على هذا المعنى كثيرا صـ٥٣ صـ٦١ صـ٧٣ (م. س).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم، ص٨٣، ت أحمد عبيد ، ط عالم الكتب – بيروت – لبنان – ط/ ٦، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
(٣) للمزيد: تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري جـ٤ صـ١٢٩ (م. س).

الاحتياط من الدخول فيه ظاهرًا، وإخفاء المعتقدات الباطلة باطنا، لذا كانوا الولاة يحتاطون لذلك، انطلاقا من وله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]، فإذا ما ثبت إسلامهم وحسن رفعت عنهم الجزية، ومما يدل على صحة موقفهم أن أهل السفد وبخارى عندما أخذت منهم الجزية كفروا ، فلو كان إيمانهم عن اعتقاد لما كفروا ، حتى ولو أخذت منهم الجزية بعد إسلامهم أما ما فعله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ال من ترك أخذ الجزية ممن أسلم، فكان استنادًا على أن أحكام الدنيا تكون على الظاهر(١)، ولكل وجهه المعتبر عند الفقهاء.

ثانيا: جمع الجزية والخراج في عهد الدولة الأموية

نتيجة لعلاقة العرب بالعجم والموالي السابقة يذهب بعض المستشرقين إلى أن العرب كانوا ينظرون إليهم من الناحية المادية نظرهم إلى بقرة حلوب، ومورد جديد للإثراء، ويظهر ذلك في سوء الاستعمال في جباية الأموال، ووضع بعض الضرائب على غير المسلمين، وقد بدأ ذلك – فيما يزعمون – «في آخر أيام الخليفة عمر بن الخطاب، المعروف بعدله وشدته، وكان يقاوم جور عماله، ويحثهم دائما على انتاج العدل ويدعوهم إلى الشفقة على رعاياهم ويتوعدهم بالعقوبات الشديدة إن هم أخلوا بواجباتهم، ثم كان يعزلهم ويصفي أموالهم ، ولكن هذه الوسائل لم تكن لتمنع تسرب أموال الرعية، ولا سيما أهل الذمة منها إلى جيوب الموظفين، وتحول دون تجمع ثروات كبيرة في أيدي بعض الناس، وظهور طبقة جديدة مثرية في المدينة، عاصمة المملكة الجديدة»(٢).

ولذا فهم يرون أن عمر له قتل ضحية نظامه الإداري، وسياسته الاقتصادية(٣). أما في عهد الأمويون فإن الوضع كان مختلفا عن زمان عمر وسياسته، الذي لم يمثل –

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٢/٢٧٣، ت محب الدين الخطيب ط دار المعرفة – بيروت.
(٢) للمزيد: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، دوزي صـ٥٩ (م. س).
(٣) السابق نفسه (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) صـ ٥٩ وما بعدها.

من وجهة نظر بعضهم – عبئاً ثقيلا على المكلفين ولكن طريقة الجباية كانت جد تعسفية، وتثير سخط سكان الريف، ولعل ذلك ينطبق في أيام ولاية عمرة بن العاص ؛ حيث بلغ خراجها مليونين من الدراهم، بينما تجاوز الأربعة في عهد الوالي الذي خلفه، مما يحمل على التأكيد بأن الخليفة عمر في تشريعاته لم يضع قاعدة ثابتة في هذا المجال، ومن هنا كانت الأحوال اكثر سوءا في عهد الأمويين، فلم يلتزم هؤلاء بالنظم التي قررها أسلافهم الراشدون ، وقد كتب معاوية مرة إلى "وردان" مصر "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً" فرد عليه بقوله: كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم(١).

تجاوز الأمويون إذا في جباية الضرائب – بحسب رأي المستشرقين – ويدل على ذلك ما وجد من نماذج في العديد من البلاد، ففي اليمن مارس أخوة "الحجاج" أسوأ أنواع الابتزاز، طورًا في مصادرة الممتلكات الخاصة، وطورًا بفرض الضريبة المقررة عليهم وهي العشر وحدوث ذلك في ولاية صافية العروبة له دلالة واضحة ومهمة؛ حيث يجوز القول بأن الأوضاع كانت أشد سوءا في الولايات الأخرى الخاضعة للعرب، فبلاد فارس مثلا، كان جباة الخراج يلجأون عادة إلى تقدير المحاصيل في وقت سابق على الحصاد، ومن ثم يرغمون المزارعين على التنازل عنها بثمن أقل من المتداول بكثير، وهذه الزيادة لم ترض عمال عبد الملك بن مروان، ففرضوا عليهم نوعًا من الجباية الذاتية، وذلك بإلزام كل فرد بتقديم أرباحه خلال السنة، فكان الوالي يستخلص منها تكاليف الملبس والمأكل وبعض النفقات الإضافية، ويستولي على الباقي باسم بيت المال، ولقد أدى ذلك إلى زيادة ثلاثة دنانير على كل فرد، إضافة على الضريبة السابقة، وحدث نفس الشيء في العراق، الذي حدثت فيه أشكالا عدة من الزيادات الاستثنائية (غير المشروعة) تضاف إلى الضرائب القديمة(٢).

(١) للمزيد: السيطرة العربية، فان فلوتن صـ٣٠ –٣١ (م. س).
(٢) السابق نفسه (السيطرة العربية ، فان فلوتن) صـ٣٢ – ٣٣.

ولا شك أن اختلاف قيمة الجزية والخراج يختلف من وقت لوقت ومن مكان لمكان، ولعل هذا هو ما يفسر زيادة قيمتها في عهد خلفاء بني أمية، وإن كانت هذه الزيادات نتيجة لبعد بعضهم عن المنهج الأمثل الذي يجب اتباعه، الأمر الذي دعا الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى تخفيفها، والعودة بها إلى سالف عهدها أيام الخليفة عمر بن الخطاب، كما أنه أسقط الجزية من أساسها عمن أسلم من اهل البلاد المفتوحة – كما سبق الذكر (١).

قال القاضي أبو يوسف في كتابه "الخراج": «وَلا يُؤْخَذُ مِنْ مُسْلِمٍ جِزْيَةً رَأْسِهِ إلا أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ بَعْدَ خُرُوجِ السَّنَةِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَ خُرُوجِهَا ؛ فَقَدْ كَانَتِ الْجِزْيَةُ وَجَبَتْ عَلَيْهِ، وَصَارَتْ خَرَاجًا لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَتُؤْخَذُ مِنْهُ، وَإِنْ أَسْلَمَ قَبْلَ تَمَامِ السَّنَةِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ أَوْ أكثر أو أقل لم يُؤْخَذْ بِشَيْءٍ مِنَ الْجِزْيَةِ إِذَا كَانَ أَسْلَمَ قبل انْقِضَاءِ السِّنة»(٢)، وبهذا اتضح الأمر فيما يخص الجزية والخراج في عهد الدولة الأموية.

□

(١) يُنظر: السابق نفسه (السيطرة العربية، فان فلوتن) صـ٤٤ (م. س).
(٢) للمزيد: الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري صـ ١٣٦ ت/ ١٨٢هـ تحقيق/ طه عبدالرؤف سعد، سعد حسن محمد ط المكتبة الأزهرية للتراث.

الخاتمة

لقد كانت هذه التطوافة العلمية بمثابة تلخيص لحِقبة زمنية يُشار إليها باتلبنان، حيث كانت دولة بني أمية، وهي فترة زمنية مليئة بالأحداث التي شكَّلت نسيج الأمة وبعد ذلك، ونشأت على إثرها المذاهب، ونشبت من خلالها الحروب، ووجدت صفين والجمل والنهروان، وبعد أن استعرضت من خلال المباحث والمطالب السابقة مواقف المستشرقين وشبهاتهم حول الدولة الأموية، ينمكن للباحثة أن تقف على أهم النتائج والتوصيات من خلال الآتي:

أولاً: أهم النتائج

١- لقد كانت لأبحاث المستشرقين حول الدولة الأموية مؤثرات منهجية أثرت على تناولهم لها، ومن أهم هذه المؤثرات التعصب للدين والجنسي، وأنهم كانوا ينظرون إلى الإسلام ورسوله حركة إصلاحية اجتماعية وسياسية واقتصادية، فلم يعتبروا فيه أنه دين منزل من عند خالق الكون له قدسيته وعظمته، مما جعلهم لا يتورعون عن كيل الاتهامات للإسلام وأهله دون حرج أو حياء.

٢- أن المستشرقين – باعترافهم – كانوا قاصرين في أبحاثهم؛ لعدم معرفتهم الكافية بعلوم الدين، وأصوله وفروعه، وأن المصادر التي اعتمدوا عليها لم تكن كافية كمقدمات في النتائج التي وصلوا إليها.

٣- اعتمد بعض المستشرقين على مصادر دونت في عهود لاحقة للدولة الأموية، والتي كان العداء فيها ظاهرًا لهم، كما سلموا بالأخبار الواردة عن خصوم الأمويين من الشيعة والخوارج، فجاءت أبحاثهم خالية من الموضوعية والمنهجية السليمة.

٤ – كال المستشرقين اتهامات عديدة لخلفاء الدولة الأموية، وحتى الخلفاء الراشدين لم يسلموا من نقدهم، كادعائهم أن أبا بكر وعمر اغتصبا الخلافة.

هـ زعم المستشرقون أن دولة الخلافة الأموية كانت دولة "تيوقراطية" أي: دينية، بدون حجة او برهان ، فلم يزعم أحد منهم يومًا أنه كان يحكم بوحي من الله ، وأن ما يقولونه دين لا يجوز مخالفته،

٦- تأثر المستشرقون بطبيعة الحكم والدولة في العصور الوسطى المسيحية، وحاولوا إسقاط ذلك على الحكم الإسلامي، مع أن البون بينهما شاسع وبعيد، مثل اعتقادهم أن الجزية فرضها عمر بن الخطاب، وتسمية الجزية بالجباية والإتاوة وتسلط وقسوة القائمين عليها على أهل البلاد المفتوحة.

٧- وقع المستشرقون في مغالطات كثيرة، بعضها متعمد وبعضها عن جهل، كادعائهم تأمر علي وطلحة والزبير وعائشة على عثمان بن عفان، بشكل لا يليق بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه.

٨- إن المستشرقين تتشابه مقدماتهم ونتائجهم في كثير مما ذكروه حول الدولة الأموية، مما يدل على أن بعضهم ينقل عن بعض بدون وعي وإدراك.

٩ – تناول المستشرقين لبعض الروايات الضعيفة أو الموضوعة والاستناد عليها في تقرير أمور مهمة في التاريخ الإسلامي، كرواية خداع عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري، وأن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة مقابل المال، وأن الموالي يقطعون الصلاة على المسلمين، وأنه كانت لهم مساجدهم الخاصة.

ثانياً: أهم التوصيات

١. لفت أنظار الباحثين إلى أهمية هذه الحقبة من تاريخ الأمة وتناولها العلمي بحيادية وإنصاف.
٢. عدم الإقبال على التعقيب أو التحليل لأحداث هذه الفترات المهمة من تاريخ الأمة إلا بعد قراءة عميقة ودقيقة من مصادر موثوقة.
٣. عدم الخوض بالألسن في مجريات الأحداث التي جرت بين الصحابة –رضوان الله عليهم– بما يُعرض الإنسان للذنب، فهي مجريات سلم الله منها أيدينا فلنسلم

منها ألسنتنا.

٤. عدم إصدار أحكام كلية على دولة بني أمية من خلال ما كتبه المستشرقون، ولابد من الرجوع إلى المصادر الإسلامية من كتب التاريخ والسير الموثوق بها دون غيرها.

٥. لا يزال المجال بكرا لتناول تاريخ الدولة الأموية من جهات عدة تظهر معها الحقيقة ويُكشف معها النقاب عن الكثير من الأحداث.

٦. الموضوعية الكاملة والحيادية في نقل الأحداث التي جرت في هذه الفترات دون هوى أو ميل حنى تخرج الفكرة العلمية متصفة بالمنهج العلمي السليم.

٧. ن الممكن تعقب كل المستشرقين الذين كتبوا عن دولة بني أمية وإظهار ما في كتبهم من الغث والسمين.

٨. عدم طرح مثل هذه القضايا الشائكة أما العامة من المسلمن حتى لا نلبس على الناس في أمر دينهم أو في موقفهم من بعض صحابة سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

٩. تدعيم البحوث العلمية التي تتناول الفترة الزمنية لحكام بني أمية بأقوال أهل العلم الأثبات، والموثوق بفكرهم وتحليلهم وتعقيبهم على الأحداث، بعيدا عن أصحاب المواقف المسبقة تعصبا لدين أو مذهب أو جنس.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم –جل من أنزله-

ثانيا: رتبت المصادر والمراجع أبجديا على النحو التالي:

- أجنحة المكر الثلاثة "وخوافيها التبشير – الاستعمار – الاستشراق، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط دار القلم – دمشق – ط/٨، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الأعلام" خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: هـ)، ط دار العلم للملايين، ط/١٥، مايو ٢٠٠٢م.
- البحر الزخار" مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت/ د. محفوظ الرحمن زين الله ط مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم – بيروت، المدينة – ط/١، هـ.
- التاريخ الإسلامي" محمود شاكر ٤/٤٨ ، ط/ المكتب الإسلامي، ط/ ٧، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- تاريخ الأمم والملوك" أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ التمدن الإسلامي" "جرجي زيدان مراجعة وتعليق د: حسين مؤنس، ط دار الهلال م.
- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية يوليوس فلهوزن، ترجمة د: محمد عبد الهادي أبو ريدة مراجعة د حسين مؤنس تقديم د مصطفى لبيب عبد الغني، الناشر / المركز القومي للترجمة، ط/٢ ، ٢٠٠٩م.
- تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين ،فارس، ومنير البعلبكي، ط/ دار العلم للملايين، ط/٥، ١٩٦٨م.
- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني" علي الصعيدي العدوي المالكي، ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ.

- الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية" فون كريمر، ترجمة د: مصطفى بدر، ط (١١ دار الفكر العربي.
- الخراج" أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت: هـ ت: طه عبد الرءوف سعد حسن محمد ، ط المكتبة الأزهرية للتراث.
- الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات د: حمدي شاهين الناشر: دار القاهرة للكتاب، بدون تاريخ
- السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية" ج. فان فلوتن ترجمة إبراهيم بيضون، ط دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٩٦م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت/ شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي »، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ت / محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولى، ط دار الجيل لبنان – بيروت – ط/٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ط دار الفكر – بيروت.
- الفتوحات الإسلامية بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين" د: جميل عبد الله المصري، ص ٧٨ ، مقال بمجلة المنهل السعودية، مجلد ٥٠ ، سنة ١٩٨٩م.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د محمد البهي، ط/ مكتبة وهبة القاهرة – ط/ ١٠.
- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط دار صادر – بيروت
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الريان للتراث دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧هـ.

- مختصر سيرة الرسول" الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤١٨هـ.
- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية" بقلم: أ. لطيباوي دراسة للأستاذ طيباوي نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣م مجلة THE MUSLIM WORLD وترجمها فتحي عثمان
- المستشرقون والتاريخ الإسلامي د علي حسني الخربوطلي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٨م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ط/ مؤسسة قرطبة –
- المصنف" أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط/
المكتب الإسلامي – بيروت – ط/ ٢، ١٤٠٣هـ. م.
- معجم أعلام المورد منير البعلبكي، ط دار العلم للملايين بيروت – ط/١،
- المعجم الأوسط" أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هـ.
- مقدمة ابن خلدون" عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط دار القلم – بيروت – ط/٥، ١٩٨٤م.
- من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام" بندلي جوزي، الناشر الاتحاد العام للكتاب والصحافين الفلسطينيين، ط/٢، ١٩٨١م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي" الدولة الأموية والحركات الفكرية، د: أحمد شلبي، ط مكتبة النهضة المصرية، ط/٧ ، ١٩٨٤م.
- موسوعة المستشرقين" د: عبد الرحمن بدوي، ط دار العلم للملايين، ط/٣، ١٩٩٣م.

فهرست الموضوعات

المحتويات

الملخص.....٣٢٩٨
مقدمة ٣٣٠٠
أهمية الدراسة.....٣٣٠١
أهداف الدراسة.....٣٣٠١
منهج الدراسة.....٣٣٠٢
إجراءات الدراسة:.....٣٣٠٣
تقسيمات الدراسة: ٣٣٠٥
المبحث الأول: المؤثرات المنهجية للمستشرقين حول تاريخ الدولة الأموية..... ٣٣٠٧
المطلب الأول: التعصب الديني والجنسي.....٣٣٠٧
المطلب الثاني: الطبيعة الغربية للاستشراق وارتباطه بها.....٣٣٠٩
المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول دولة بني أمية والرد عليها ٣٣١٢
المطلب الأول: الشبهة الأولى والرد عليها ٣٣١٢
المطلب الثاني: الشبهة الثانية والرد عليها ٣٣١٣
المطلب الثالث: الشبهة الثالثة والرد عليها ٣٣١٥
المطلب الرابع: الشبهة الرابعة والرد عليها.....٣٣١٨
المبحث الثالث: موقف المستشرقين من قيام الدولة الأموية ٣٣٢١
المطلب الثاني: موقف المستشرقين من تولي الأمويين الخلافة.....٣٣٢٣
المطلب الثالث: موقف المستشرقين من دين الخلفاء والولاة في دولة بني أمية

.....٣٣٢٥
المبحث الرابع: الرؤى الاستشراقية حول الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية
.... ٣٣٢٨
المطلب الأول: الرؤى الاستشراقية حول الغزو والجهاد في عهد الدولة الأموية..٣٣٢٨
المطلب الثاني: الرؤى الاستشراقية لموقف الدولة الأموية من أهل البلاد المفتوحة
.....٣٣٣٣
المطلب الثالث: الرؤى الاستشراقية للدولة الأموية حول علاقتهم بالموالي وجمع الجزية والخراج.....٣٣٣٥
الخاتمة ٣٣٤٤
ثبت المصادر والمراجع ٣٣٤٧
فهرست الموضوعات ٣٣٥٠